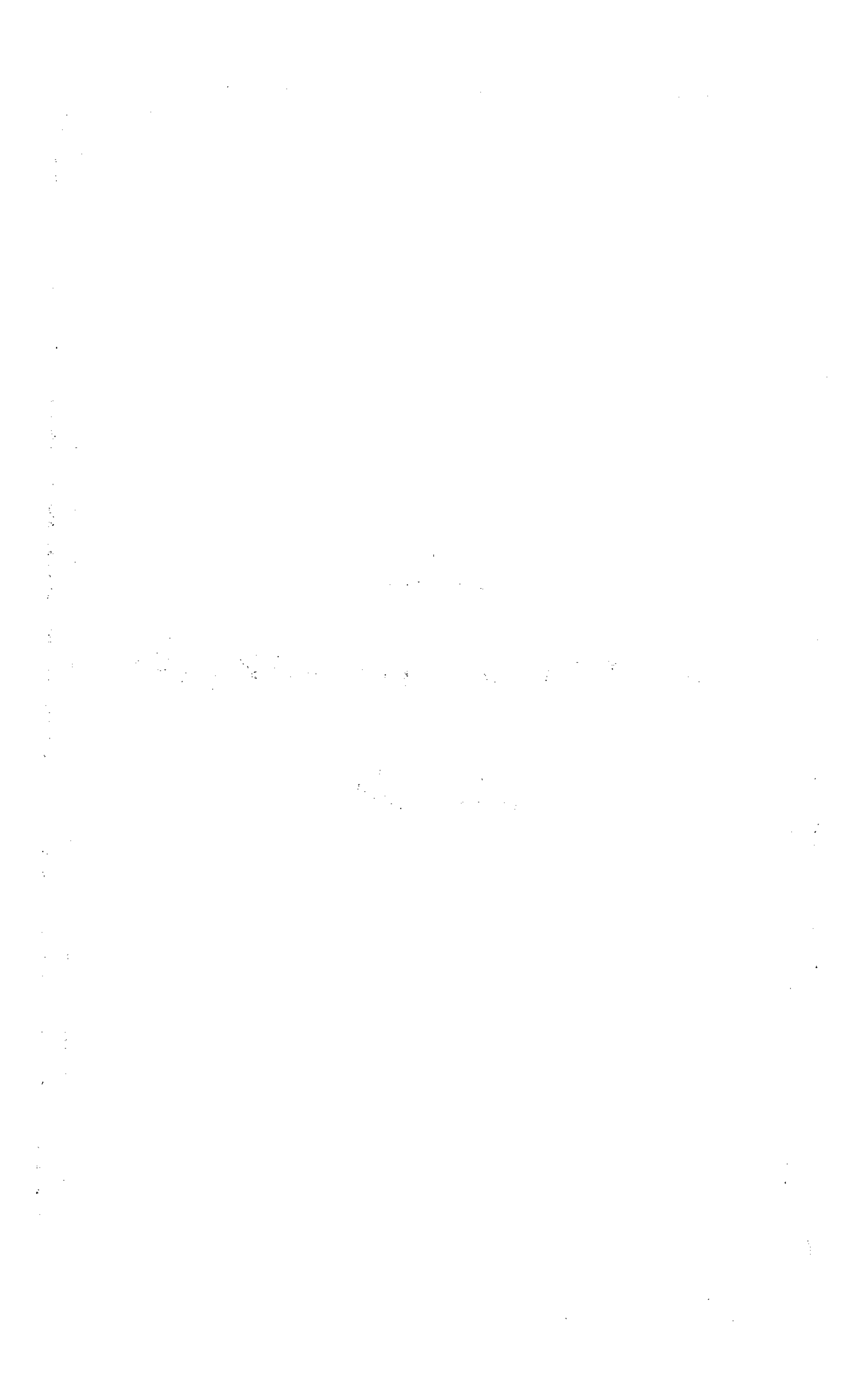
كتاب

التلويحات اللوحيّة والعرشيّة

(العلم الثالث)



بسم الله الرّحمن الرّحيم

ربّنا آتنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

تباركتّ ربّنا خالق النور ومبدأ الوجود ارزقْنا شوق لقائك والصعود إلى جناب كبريائك واجعل ذواتنا من الطاهرات الكاملات فالفارقاتِ العائداتِ إليك، إِنك وليّ الأيد وصاحب الطّول العظيم المجيد.

هذا هو الشروع في علم ما بعد الطبيعة من **التلويحات اللوحيّة والعرشيّة** لم التفتْ فيها إلى المشهور من مذاهب المشّائين بل أنقّح فيها ما استطعتُ وأذكر لبّ قواعد المعلّم الأوّل وعلى الله توكّلي إِنه القائم على كلّ نفس ومنه بدؤ كلّ بادٍ وإليه أوبة كلّ آيب.

وفيه أطوار تقسيمٍ وضوابط وخمس موارد والمرصاد الأخير وتتقدّم على الكلّ مقدّمة.



مقدمة

أنه لما كان الأمور منها ما لا يتعلّق بأعمالنا كالسماء والأرض، ومنها ما يتعلّق بها؛ سُمّي العلم المتعلّق بالأول الحكمة النظريّة وبالثاني الحكمة العمليّة. وينقسم الثاني إلى حكمة خُلقيّة ومنزليّة ومدنيّة: باعتبار أنّ الإنسان يحتاج إلى معرفة الفضائل ليقتضيها والرذائل ليجتنب عنها فاحتاج إلى الأول.

وباعتبار معرفة مصالح منزله إلى الثاني ليعلم تدبيره وكيفيّة النظام اللائق به والواجب من المشاركة بين أهله. وباعتبار أن يعرف ما ينبغي من المشاركة مع الناس وأهل المعمورة واستبقاء النوع إلى الثالث.

والحكمة النظريّة لها أقسام:

فما يتعلّق بأمور غير مادّية أصلاً كالواجب الحقّ والعقول ونحوها وأقسام الوجود المطلق ـ التي وإن خالط شيء منها المادّة لكن لا على سبيل الافتقار إليها لطبيعتها ـ يسمَّى العلم الأعلى؛ وموضوعه أعمّ الأشياء وهو الوجود المطلق ويبحث عن أعراضه الذاتيّة.

وأقسامه: فمنه العلم الكلّي أي الذي فيه تقاسيم الوجود ومنه الإلهي، وما يتعلّق بأمور متعلّقة بالمادّة لكن الوهم يجرّدها ولا يحتاج في فرضها موجودةً إلى مادّة خاصّة مستعدّة سُميّت الحكمة الوسطى وموضوعها الكم، فمن حيّز المتّصل الهندسة ونحوها، ومن المنفصل الحساب وما يليه.

والذي يتعلّق بالمادّة غير متجرّد أصلاً بل مفتقر إلى موادّ خاصّة واستعداداتٍ وتغيّرات سُمّي العلم الطبيعي وموضوعه جسم العالم من حيث أنّ فيه مبدأ حركةٍ وسكونٍ وتغيّرٍ ولا يخرج الأمور عن القسمين وكلٌّ من ثلاثته، وأمّا تقاسيمه فنذكرها في تلويحات ثلاثة:

التلويح الأوّل
في قول جمليّ وإشارات إلى المقولات

اعلم أنّ الوجود والشيئيّة من حيث مفهومهما لا جنس ولا فصل لهما فلا حدّ ولا لازم أظهر منهما فلا رسم.

والتعريف بأنّه الذي ينقسم إلى فاعلٍ ومنفعلٍ أو قديمٍ وحادثٍ أو ما يصحّ أن يُخبّر عنه وإيرادُ لفظةِ ما والَّذي ومَن وهُوَ ونحوها في تعريف شرحه لا حاصل له، فإنّ الأربعة الأُولى يدخل في حدّها الوجود ولا تُعرَّفُ إلاّ به مع اعتبار افادة واستفادة أو سبقِ عدمٍ أو لا سَبْقه فيكون من الأغاليط التي بُيّنَت لك، وهذه الألفاظ كلّها من أسماءِ الوجود إمّا مرادفةً له أو أخصّ وأخْذُ الشيء في حدّ نفسه أغلوطة عرفتَها فتصوُّره بديهيٌّ فطريٌّ لا حاجة له إلى شرح، والشيئيّة تُحمَل على الأشياء غير متأصّلة ولا شيء مطلقًا بل هي تابعة للمتخصّصات من الماهيّات في التعقّل.

ولا واسطة بين الوجود والعدم. وأخذ بعض الناس محمولاتٍ على الحقائق كاللونيّة على أنواعها على أنّها غير موجودة ولا معدومة وسمّاها أحوالاً فغلط من الكلّيّات التي هي غير معدومة عن الأذهان ولا موجودة في الأعيان، فيقال لهم إذا كان السواد معدوماً فلونيته معدومة فإنّه إذا لم يكن السواد موجوداً فلا تحقّق لونيته فإذا وُجد السواد فلونيته إن بقيت على العْدم فللموجود صفة معدومة يوصف بها هذا محال، وإن حصلت فوُجدت، وقالوا إن الوجود من هذا القبيل والأشياء تمتاز بالأحوال، والعجب إنّ في الوجود إمّا ما به الاشتراك أو ما به الافتراق وكلٌّ عنده غير موجود ولا معدوم فليس في الوجود موجود، وإذا علمتَ أنّ صفة الشيء إمّا أن تكون حاصلة له فهي موجودة والحصول هو الوجود أو لم تحصل فهي معدومة ولا مشاحّة في الأسماء فما سمَّوه ثابتاً هو ما سمّيناه موجوداً وما سمّوه نفياً هو العدم.

وزعم أيضاً أنّ المعدوم الممكن شيء والمنفيّ هو المحال والممكن ثابت قبل الوجود، يقال له الماهيّة المعدومة ليست بموجودة فوجودها منفي مسلوب وهو ممكن فهو مبطل كلامهم، ثمّ إنْ ثبت الوجود المعدوم للماهيّة كما هو مذهبه في

الممكن وما ثبت لِشيء من الصفات يوصف به فالوجود يوصف به المعدوم هذا محال، ثمّ الذي أشير إليه بهذا إن كان قبل الوجود ثابتاً وهو هذا فيكون قبل الوجود موجوداً أو لم يكن هذا فهذا لم يكن قبل الوجود ممكناً بلى قد ينعدم عن الأعيان الموجود في الأذهان وبالعكس.

مقسِمٌ إنّ الموجود إمّا أن يكون في المحلِّ أو لا يكون، وبالصيغة الأولى نعني أنّه يكون في شيء شائعاً فيه لا كجزءٍ منه ويُسمَّى هو حالاً وما فيه محلَّه، وقد وقع الاحتراز من كون الإنسان في الخطب والوتد في الحائط ولجزئيّ في الكلّي والشيء في الزمان والمكان بالقيد الأوّل، وعن الكون الجزء في الكلّ بالقيد الثاني، والذي هو في المحلّ: منه ما يستغني المحلّ عنه في قوامه فيتقوّم هو دونه ومنه ما لا يستغني، والأول يسمّى عَرَضاً ومحلُّه موضوعاً بالاضافة إليه والثاني صورةً ومحلّه هيولى وإن كان الهيولى قد تقال على محلٍّ بالنسبة إلى الصورة الغير الحاصلة بعدُ وبالنسبة إلى الحاصلة يسمّى موضوعاً فيكون واقعاً بالاشتراك على هذا وعلى اعتبار الاضافة إلى العرض، والعرض لا يغيّر جوابَ ما هو والصورة مغّيرةٌ، واعتبرْ بثوب أسود ابيضّ وماءٍ صار هواءً وعدمِ تغيّر الجواب في الأوّل وتغيّرِه في الثاني. فالعرض هو الموجود في الموضوع والجوهر هو الموجود لا في موضوع سواءٌ استغنى عن المحلّ اصلاً أو حلّ ولم يستغن المحلّ عنه كالصور، وأقسام الجوهر أربعة: جسمٌ وجزءاه الهيولى والصورة والخارج عن هذه الأقسام الثلاثة المفارقات ولم يخرج عن هذه الأقسام من أنّه إما جسم أو واحد جزءَيه أو غيرها.

(٣) **فصل** ومن خاصيّة الجوهر أنه ليس له ضدّ على اصطلاح الحكماء فإنّ الضد عبارة عندهم عن ذاتين متعاقبتين على موضوع واحد وبينهما غاية الخلاف والبُعد والجوهر لا موضوع له وإن غُيّر لفظ الموضوع بالمحلّ فبعض الجواهر كالصور لها ضدّ، ومن خاصيّة الجوهر أنّ بعضه يُقصَد بالإشارة كجزئيات الأجسام ولا توجد هذه لغيره، وأنّ بعضه يقبل الضدّين لتغيّره في نفسه، وقُيّد بهذا ليخرج عنه تغيّرُ الظنِّ الكاذبِ صادقاً فإنه لِتغيّرِ الأمر في نفسه لا لذاته.

وكُلّ موجود في الموضوع إمّا أن يُتصوّر ثباته أو لا يتصوّر أصلاً وهذا هو الحركة كانت في الكيف أو في الكمّ أو الوضع أو المكان وقد سبق تعريفه، وما يُتصوّر ثباته فإمّا أن تُعقَل ماهيته دون القياس إلى غيرها أو لا تعقل إلاّ بالقياس إلى غيرها وهذه هي الإضافة كالأبوّة والبنوّة لا الأب والابن فإنّ لكلّ منهما وجوداً جوهرياً ثم ربما تلحقه الإضافة بعد حين كالأب وإن كان يسمّى المضافَ الغيرَ البسيط وكالمعلوم والعلم فإنّ المعلوم ماهيّة ذاته تتحقّق دون الاضافة ولكن لا من حيث كونها معلوماً والأوّل هو المضاف الحقيقي البسيط.

سؤال العلّة قيل أنّها لا بدّ وأن تكون قبل المعلول وهذا محال إذ العلة لا يُعقَل مفهومها إلاّ مع المعلول وإذ لا معلول لا علّيّة.

جواب هويّة ما حُمل عليه العلّيّة تتقدّم على هويّة ما حُمل عليه المعلوليّة لا من حيث العلّية والمعلولية وهذان معاً والمتضايفان متعاكسان وإذا اشتبه عليك ما يتعاكس إليه أحد المتضايفين فارجعْ إلى حدّ الاضافة وانظر إلى أنّها بوضع ماذا تصير موضوعةً وبرفع ماذا ترتفع فتعرف قسيمَهُ المتعاكَس عليه وتلحق هذه جميع المقولات بحسب مساواة أو أشدّية أو مشابهة ونحو هذه، والذي يُتصوّر ثباته معقولاً دون إضافةٍ فإمّا أن يحصل تصوّره دون اعتبارٍ أَن يُوجِب التجزّي وعدم التجزّي ونسبةً وترتيباً في نفسه ومحلّه أو يحصل تصوّره موجباً لذاته هذه الأشياءَ وهذا هو الكمّ وهو ما لذاته يقبل التجزّي واللّاتجزّي والتناهي واللّاتناهي والمساواة واللّامساواة وتلحق هذه بالجسم بتوسّطه.

سؤال عرّفتَ الكمّ بهذه ولا تُعرَّف إلاّ به؟

جواب ليس هذا حدّاً حقيقيّاً ولا رسماً كما ينبغي وليس كلّ ذاتي يخطر بالبال مفصّلاً كما دريتَ وإنّ أُخطر جملةً، فالعامّة عرفوا الجسم وأخذوا فيه جملةَ جزءَيه الهيولى والصورة وفي التفصيل احتاج إلى الحجّة وإن كان ذلك يحصل بتنبيه أيضاً، والجسم أشهر من جزءَيه المفصّلين إلاّ إجمالاً بل ربما كان الإنسانيّة أشهر من النفس وإن أخذت في تعقّلها البتة في الذهن مجملاً، فهذه وإن كانت تتقوّم بالكَمّيّة

فهي أشهر من اخطارها مفصّلةً مستقلةً، فجُعلت كشرح اسم في تقسيم لا حدّاً ولا رسماً كيف والعوالي من المقولات لاجنس لها ولا فصل لها فلا حدّ لها فهي ظاهرة.

وقُسم إلى كميّة متَّصلة وهي التي يوجد لأجزائها حدّ مشترك تتلاقى عنده، وقُسمت إلى غير قارّ الذات كمقدار الحركة التي تتّصل أجزاؤها بالآن وقارّها، وقسم إلى مجرّد طول مأخوذٍ في العقل وجدَه يسمّى خطّاً ومع العَرْض يسمّى سطحاً ومع العمق يسمّى جسماً تعليمياً، وهذه الأبعاد أَعراضُ كما ستعرف، وظُنّ أنّ المكان من أنواع الكمّ المتّصل ومن حدّه السطح والباقي من المضاف فلا استحقاق للنوعية له، وإلى كمّية منفصلة وهي التي لا يوجد لأجزائها ذلك كالعدد، وليس القول نوعاً منه بل أمرٌ يلحقه ذلك، والخفّة والثِقَل اللذان هما عبارتان عن قوة محرّكة للشيء إلى الوسط أو عنه ظنّ أنهما من الكمّية وليس كذا وما ظُنّ أنه مساواة أُخذ من تقاوم شيئَين في جذب عمود الميزان وإذا اشتدّ الجذب لشدّة الثقل سُمّي تفاوتاً، وفي الحقيقة المساواة هو انطباق طرفَي كلّ من شيئَين على طرفي الآخر مع انطباقهما وما ليس كذا فلا مساواة فيه، وقسم الكمّ أيضًا إلى ذي وضع وغيره وهو ما لأجزائه اتصّال مع ثبات يمكن أن يقال أين كلّ واحد منهما من الآخر وخرج منه من أنواع المتّصل الزمان داخلاً فيما لا وضع له الذي ليس كذا، والكمّيات لا ضدّ لها إذ ثلاثة المتصلات تجتمع والزمان لا يتعاقبها على موضوعها فإنّ موضوعه الحركة والمنفصلات كلّ نوع أقلّ موجود في الأكثر فلا مضادّة، والزوج والفرد ليسا بضدّين بل الفرد هو العدم المقابل للزوج فليس بذات وأُخذت الذات في حدّ الضدّين ثمّ الفرد يتقوّم بالزوج كما قال الشيخ المبرّز «ابن سينا» وعنى أن العدميّات في مفهومها تتقوّم بالوجوديّات، والمتّصلات لا تضادّ المنفصلات للاجمّاع وأمّا من غيرها فلا مضادّة، وما يؤخذ اضداداً في الكمّ كالانحناء والاستقامة في الخطوط والأقلّية والأكثرية في المنفصل والأصغرية والأكبرية في قسيمه فالأوّلان كيفيات في كميات وهذه ليس بينها غاية الخلاف

وتختلف بالاضافات إمّا لا ننكر أنّ المقدار الأكبر وسمّي جَ في نفسه والأصغر وهو بَ المتّصلين المتعاقبين على مادّة واحدةٍ بالتخلخل والتكاثف لا يجتمعان حتّى لو حذف غاية الخلاف كانا ضدّين، والذي يُعقَل غيرَ متعلّق لنفسه بهذه الأشياء من قبول التجزّي ونحوه هي الكيفية وهي هيئة قارّة لا يحوج تصورُها إلى أمرٍ خارجٍ عنها وموضوعِها ولا اعتبارِ ما ليس بواجبٍ فيها من التجزئة والترتيب ونحوهما، فمنه كمالات واستعدادات والأولى محسوسة وغير محسوسة، وأُولاهما منها الثابت كحمرة الورد وملوحة ماء البحر وتسمّى كيفيات انفعالية ومنها الغير الثابت كحمرة الخجل وتسمّى انفعالات، وثانيهما منه الثابت كعلم العليم وحلم الحليم وتسمّى ملكات ولا يشترط في الملكة الوجود بالفعل بل القدرة على الاحضار متى شاء من غير تفكّر، ومنه ما لا يثبت كمرض المصحاح وسمّي حالاً، والاستعدادات منها ما للمحسوسات وما لغيرها، ومنها ما للامتناع كالصلابة المتأبّية عن قبول الانفصال والمصحاحيّة لا الصحّة ويسمّى قوة طبيعيّة وما للقبول كاللِين والممراضية ويسمّى لا قوة طبيعية، ومن الكيف ما يختصّ بالكم كاستقامة الخطّ، ولمّا كان المحمول عليه الوجود إمّا موجوداً لا في موضوع وهو الجوهر وإمّا موجوداً فيه إمّا غير قارّ الذات كالحركة أو قارّها الذي لا يُعقل إلاّ مع الغير وهو المضاف، والقارّ الغير الإضافي إمّا أن يوجب لذاته التجزّي والنسبة وهي الكمّيّة أو لا يوجب لذاته ذانّك وهو الكيف، فانحصرت الامّهات من المقولات في خمسة.

سؤال وما يُدرِيك لعلّ أحد الأقسام ينقسم أيضاً؟

جواب القسمة حاصرة بالنفي والإثبات وما ينقسم أقسامه تحته، وأَمّا باقي ما أُخِذ من المقولات كالأين وعُرِّفَ بأنّه عبارة عن كون الجوهر في المكان ومتى الذي هو عبارة عن كون الجوهر في الزمان وخصّ اسم السؤالين بجوابيهما والمِلْكُ والجِدة الذي هو عبارة عن كون الجوهر في محيطٍ بكلّه أو بعضه منتقلٍ بنقله كالتقمّص والتختّم والوضع وهو هيئة تحصل من نسبة أجزاء الجسم بعضها إلى بعض نسبةً مختلفةً بالجهات وأن يفعلَ وهو تأثير الجوهر في غيره تأثيراً غير قارٍّ وأن ينفعلَ وهو

تأثّر الجوهر عن غيره غير قارّ تأثّره وفي الحقيقة متى وأين والملك والوضع لا يُعقَل إلاّ وأن يُعقَل الاضافة قبلها فإنّه إذا كان الجسم في المكان ولم يحصل له هيئة إلاّ الاضافة إليه وهي إضافة خاصّة وكونه فيه ليس وجوداً له بل وجود إضافةٍ فإذا كانت الاضافة ذاتية للكلّ وكلّ ذاتيّ عامٌّ إمّا جنسٌ أو جزءُ جنسٍ فالاضافة تَعمّ هذه الأشياء فليست بأجناس عامّة، والفعل والانفعال حركة تضاف تارة إلى الفاعل وأخرى إلى القابل فنفس الاضافة ما استحقّت المقولية.

سؤال خالفتَ المعلّم الأوّل «ارسطاطاليس» والجمهور؟

جواب أمّا المقولات فليست مأخوذة عن المعلّم بل عن شخصٍ فيثاغوريّ يقال له ارخوطس وليس له برهان على الحصر في العشرة والبرهان هو الذي نتّبع.

سؤال ما تعرّضَت لدخول الأشدّ والأضعف في كلّ من المقولات؟

جواب لكثرة المغالطات فيه فترى شخصاً يقول لا أشدّ في الكمّ ثم يعترف بأنّ خطّاً أطول من خطٍّ أو أعظم وتعلم أن الطول والعظم ليسا بمقدارين زايدين على الخطّ بل أخذ الخطّ على أنّه عبارة عن الطول فحسبُ ثم يقول أنّه ليس أشدّ خطّيّةً لأنّ هذا اللفظ لا يطاق بل أشدّ طُولاً ويُطلَق أنّ مقدار هذا الخطّ أكبر وسُلّم أنّه نفس المقدار ويعتمد على أنّ حدّ الخطيّة يعمّهما، وكذلك يعمّ حدّ البياض الأشد فيه والأضعف.

سؤال للاشدّيّة حدّ تقف عنده؟

جواب فمن يسلّم قد وقد ويسلّم أنّ العدد لا يشتدّ لأنّه لا يقال كذا أشدّ عدديّةً ثمّ يقول عدد كذا أكثر من عدد كذا والكثرة والعدد واحد ويعتمد كثيراً على اطلاق الألفاظ، ويأخذ الحيوانيّة في حدّها الحسّاسيّة والمتحرّكيّة ثمّ الذي له حاسّتان وتحريك ضعيف لا بدّ وأن يساوي ذا الحواسّ التامّة والتحريكاتِ القويّة والمبدأ الأقوى في ذلك وليس كذا، ويأخذ الجوهر أنّه لا شدّة فيه ويسلّم كثيراً أنّ المفارقات المستغنية عن المحلّ أصلاً أتمّ قواماً وتجوهراً من الصور المنطبعة مع أنّ

الحكماء المتقدّمين قاطبةً على أنّ جواهر هذا العالم كظلٍّ للعالم الأعلى كيف ساواها في الجوهريّة؟ وفي الأكثر يقتصر على مجازيّ الاطلاقات فلستُ أُحبّ هذا.

سؤال الأولويّة والأشدّيّة تقال فيما بين ضدّين؟

جواب الوجود الواجبيّ والعلّيّ أتمّ من الوجود المعلوليّ وأشدُّ إذ لا أعني بالشدّة القدرة على الممانعة ونحوها بل أنّه أتمّ وأكمل، ولا تعاقُب لهما على موضوع واحدٍ ولا ضدّيّة ولا سلوك.

(٤) **ضابط** وما ورآء الجوهر منْ هذه إلاّ عداد العوالي أَعراض وتتبدّل هي أو من نوعها أو من جنسها على محلٍّ والحقيقة كما هي غير متغيّرة فيها جواب ما هو، ورأيتَ الشمعة يتغيّر لونها وشكلها وأبعادها وهي هي ومجموع الأعراض عرض فالجسم التعليميّ عرض والمقدار عُرِّفَتْ عرضيّته بالتخلخل والتكاثف.

(٥) **رمز عرشيّ** الجرم العينيّ لا يتقوّم بمقدار مّا وامتداد مّا كلّيّ فإنّه لا يكون إلاّ في الذهن فكيف يقوّم العينيَّ؟ ولا يُتصوّر أن يقال في الجرم امتدادٌ حاصل هو جوهر وآخر هو عرض لأنّ الامتداد طبيعة واحدة ومفهوم واحد لا يختلف فيه جواب ما هو فلا يكون منه جوهر وعرض، ثمّ إنّ الامتداد الجوهريّ موجود في كلّ جسم وجزءه وما في الكلّ أكثر ممّا في الجزء، وكذا إذا تُخلخل الجسمُ إن بقى الامتداد الجوهريّ كما كان وهو مقدار لا شكّ فليس في كلّ الجرم المتخلَخل الزايدِ مقدارُه الصورة الجرميّة وهو محال وإن زاد فحصل منه شيء آخر وهو كم بذاته فإذن المقدار واحد في الجسم وهو عرض، وللجسم جزء ثابت جوهريّ هو الهيولى وآخر عرض متجدّد به أعداد الأجسام مع بقاء الحقائق النوعيّة فليس الجسم محض الجوهر، ولمّا بُرهن على أن لا هيولى دون مقدار فيكون مقدار ما يلزمها على سبيل البدل كالوحدة والكثرة وليس من شرط ما لا يتحقّق الشيء دونه أن يقوّم وجوده واعتبرْ بزوايا المثلّث، فليس الامتداد صورة جوهريّة كما ظنّ الجمهور وإن سُمّيتْ صورةً فلا بأس، والعدد أيضاً قد يختلف في ماءٍ فيتّحد ويتكثّر وحقيقته

محفوظة والحدّ واحد والعدد له خواصّ ومراتب وأنّى يكون للعدم ذلك؟ فبطل كلام مَن زعم أنها أمور معدومة، وليست الخمسة جزءاً مقوّماً لحقيقة العشرة لأنّا نعقلْها شيئاً واحداً دون النظر إليها.

سؤال العدد ضدّ الواحد فكيف يتقوّم به لأنّه إذا تكثّر شيء بطلت وحدته؟

جواب بطلت وحدة كانت قبل التكثّر وحصلت آحاد مقوّمة والعشرة حقيقة نوعيّة واحدة ليست عشرة لنفسها بل هي كثرة وعشرة لغيرها والإضافة بيّن عرضيّتها.

سؤال قيل أنّها ليست بشيء؟

جواب لو كانت الأبوّة نفس مفهوم الشخص الموصوف بها لكان أباً أبداً وليس كذا ولو كانت سلبيّة أو عدميّة كان سلبها أو عدمها عن محلّها وجوديّاً فيه والتالي باطل.

وهذا طريق في اثبات وجود باقي العوالي، فالمعيار في عرضيّتها تبدّلُها أو شيء منها أو زوالها وانحفاظ المجموع، والشكل أو اللون لو كان له قوام بنفسه إن لم يكن مشاراً إليه فليس هو، وإن أشير إليه من جميع الجهات فله الأبعاد وشارك بها جميع الأجسام وفارقها في السوادية فهي في الجسم وفُرضت دونه، وإن أشير إليها لا من جميع الجهات فهي في مستقلّ بالجهة وهو الجسم وكانت مجرّدة هذا محال، ومن هذا يُعلَم أنّ الصور لا تنتقل وكذا الأعراض لأنّها لدى المفارقة تستقلّ بالحركة والجهات فلها أبعاد ثلاثة إذ ستّة الجهات مستدعية لثلاثة الأبعاد فهي مع الجسمية وقد فُرضت مفارقةً لها فهو ممتنع وأيضاً أن مفارقّها لمحلّ غير أن حلولها في آخر وبين الآنين زمانٌ قامت فيه بنفسها.

(٦) **ضابط** وما قام بنفسه محال أن ينطبع في غيره إذ لا بدّ في الحلول من أن يكون شائعاً فيه ملاقياً للكلّ بالكلّ وما قام مستقّلاً بالأبعاد لا يتداخل، هذا لك قانون فاحفظه.

(٧) **فصل** وإذا ثبت الشكل الكريّ ثبتت الدائرة لأنّ الكرة إذا قُطعت بنصفين

حصلت الدائرة، وأيضًا إذا فُرض جسم ممتدّ مستقيم يلازم أحد طرفيه نقطة والآخر يتحرّك مستمرّاً على سطح إلى أن يعود إلى نقطةٍ فارقها حصلت من حركته دائرة، وموجب التضريس من القائلين بالجزء يلزمه أنَّ محلَّ الثلمة إن كان ينسدّ بصحاح الجواهر فسدّت بها فتساوت الخطوط الخارجة من المركز إلى المحيط وإن كان بأقلّ من جوهرٍ فانقسم الجزء الذي هو مبنى الخيال، وإذا ثبتت الدائرة والخطوط ثبت متساوي الأضلاع من المثلّث ويجوز دور أحد ضلعي القائمة على الزاوية فيرتسم مخروط، والوجود والعرضيّة دريتَ أنهما غير ذاتيّين للماهيات والوجود يقع بالتشكيك على الواجب أولى وأوّلَ ثمّ على الجوهر همّ على القارّ الذات والغير الإضافيّ منه أتمّ، ومن الكمّ ما لا يتقدّم على جميع الكيف إذ من الكيفيّات علومٌ، والحقيقة اعتبار ذهنيّ فيقال على المقول عليه بعد الوجود وإن كان مفهومه معقولاً قبلهما.

(٨) **خاتمة وإشارة** وإذا فهمتَ أنّ الأربعة لها مفهوم وهو من الكمّ المنفصل فصورتها في المدرِك منك، إن كان جسماً ممتدّاً بامتداده فالكمّ المنفصل صورته تكون طابقت المتّصل هذا محال، فمدرِكها غير جرميّ وليكُن هذا لك من البراهين العرشيّة على وجود النفس.

التلويح الثاني
في الكلّي والجزئي والنهاية
واللّانهاية والاعتبارات العينية والذهنية

(٩) **والوجود** ينقسم إلى الكلّي والجزئيّ وقد عرفَتهما وليست الإنسانيّة الكلّيّة معنىً واحداً عامّاً موجوداً بعينه في الجزئيات فإنّ هذا الإنسان غير ذاك الإنسان، فلو كان في كلّ واحد شيء منها وكان إذا بطل بطل جزؤها فما بقيت إنسانيّة وليس كذا بل في كلّ شخص إنسانيّة تامّة ما ضرّه عدم الآخرين وفي الذهن ما لم يضرّه عدمه أيضاً فلِكلٍّ إنسانيّةُ تخصّه، والكلّي إنما هو في الذهن وهو ما أُخذ من الصورة من

جزئيٍ طابقته وغيرَه كشمعةٍ إذا أخذت رشماً من شيء لم تختلف بورود أشباهه فمعنى اشتراكها فيها مطابقتها لها، والعموم والخصوص والكلّيّة والجزئيّة عرفتَ أنها عوارض للماهيّة من حيث مفهومها وهي صالحة من حيث هي لحملِ كلٍّ وقسيمِه عليها، والكلّيّ تكثّره في الأعيان لا بد وأَن يكون فيما يقع بالتواطؤ بشيء زائد فإنّ أربعة من الماء والطير اختلف عدداهما بهما وهذه الأربعة غير تلك فلو كان كونها هذه بمطلق الأربعيّة لكانت هي هذه وليس فأُولات المحلّ من الماهيات تغايرها باختلاف حواملها أو بالزمان إِن اتّحد المحلّ كسوادين حصلا في محلّ واحد ولكنّ أحدهما بعد بطلان الآخر ومن هذا تعلم أنّ لا حصول لمثلى صورةٍ وعرضٍ في محلّ واحدٍ لعدم المميّز بالحامل والزمان.

سؤال يكون أحدهما حاصلاً في زمان ج والآخر في زمان ب فاجتمعا؟

جواب إضافات الأزمنة لا تُميّز الحاصل بعدها لأنها إذا بطلت بطلت الإضافة إليها وإن بطل الشيء مع زمانه فلا يجتمع مع ما بعده.

فإذا كان الزمان ممّا يمتاز به المثلان فلا يتصوّر إعادة ما انعدم لأنّ الكائن في الزمان الثاني غير ما كان في الزمان الأوّل فكلّ واحد منهما يتشخّص بزمانه، فإن قيل يعاد الأوّل بإعادة زمانه قيل أنّ الزمان إِن أعيد فيكون الزمان قد وُجد في زمانين قبل وبعد فيلزم للزمان زمان إلى غير النهاية وهو محال.

(١٠) **فصل** والفصل علمتَ أنّه لا يقوّم حقيقة الجنس بل وجود مخصّصه، والنوع البسيط ما ليس فيه جعلان جعلٌ لجنسه وجعلٌ آخر لفصله، والغير البسيط ما يغيّر فصلهُ جوابَ ما هو ولكن لجنسه وفصله جعلان كصورة الحيوانيّة فإنّ جعلها ووجودها ليس جعْلَ جسميّها في الأعيان بل تستبقي الجسميّة في الأعيان والحيوانيّة غير باقية، والأمور الزائدة على الماهيّة إذا لم تقتضها الماهيّة لذاتها فلحوقُها بها لعلّةٍ فكلّ عرضيّ يعلّل إمّا بالماهيّة كالزوايا الثلاث للمثلّث فإنها لو أمكنت نسبتها إليه لانفرض دونها ويستحيل ذلك ولو وجبت بغيره لأمكنت بالنسبة إليه وقد بطل وهي حادثة فممكنة فالمرجّح والموجب نفس الماهيّة، وإِمّا أن يعلّل بخارج الماهيّة

إذ لو وجب بذاته ما انضاف إلى غيره عرضيّاً له وإذا لم يترجّح بنفس الماهيّة فتعيّن بغيرها لأنك ستعلم أنّ الممكن لا بدّ له من مرجّح.

(١١) **ضابط** فيما يجب فيه النهاية وما لا يجب وهو طور تقسيم آخر ينفعُنا في أمرٍ سيأتي، كلّ عدد آحاده موجودة معاً وله ترتيب وضعيّ أو طبيعيّ يجب فيه النهاية أمّا الترتيب الوضعيّ فكما للأجسام وسبق برهانه، وأمّا الطبيعيّ فكالعلل والمعلولاتِ والصفاتِ والموصوفاتِ الموجودةِ المترتِّبةِ معاً فإنّا إذا وجدنا سلسلةً موجودة غير متناهية من هذين لنا أن نحذف في العقل من بين أيّ عددين اتّفق عدداً متناهياً ونوصّل على الترتيب فنأخذ السلسلة معه تارة وليكُنْ جَ ودونه أخرى وليكُنْ بَ فإمّا أن يكون في مقابلة كلّ واحدٍ واحدٍ من أعداد جَ واحدٌ واحدٌ من أعداد بَ وهو محال إذا زاد عليه جَ بالعدد المحذوف فلا بدّ من التفاوت وليس في وسط الترتيب للتوصيل وكلّ تفاوت لاعداد غير واقع في وسطٍ فهو في جانبٍ فاستمرّت سلسلة جَ وبَ انتهت دونها وزاد عليها جَ بالقدر المتناهي وما زاد على المتناهي بمتناهٍ فهو متناهٍ، ويستعمل أيضاً ههنا البرهان العرشيّ من أنّ بين كلّ واحدٍ واحدٍ من الأعداد إمّا أن لا يتناهى فينحصر بين حاصرين مترتّبين فيمتنع، أو يتناهى فلا يبقى واحد فيه على الترتيب إلاّ وبينه وبين أيّ واحدٍ كان من الترتيب متناهٍ فالكلّ متناهٍ والفاقدُ لأحدِ الشرطين من الوجود معًا والترتيب ليس لهذا البرهان إليه سبيل ولا يجب فيه النهاية كالنفوس البشريّة الموجودة معاً دون الترتيب أو الحركات التي بخلافها.

(١٢) **فصل** ولمّا انساق الكلام إلى ههنا فنعمل ميزانا في الاعتبارات الذهنيّة والعينيّة فإنّ من الأمور ما يزيد على الماهيّة ذهناً وعيناً ومنها ما يزيد ذهنًا فقط.

القسطاس الأوّل: أخذنا في الوجود العينيّ امتداداً طويلاً معيّناً ثلاثة أذرع مثلاً سميّناه وكلّ ما ساواه جَ على أنه اسم لكلّ ما مقداره كذا وامتداداً دونه وسمّيناه وما ساواه بَ فجيم أخذنا صورته الكلّيّة في الذهن الواقعة بالتواطؤ على جزئياته وباء كذلك وأخذنا في الذهن الامتداد المطلق المقول على الجيم والباء وغيرهما فطابق

الامتداد المطلق جزئيّات ج وجزئيّات ب العينيّة وطابق ج جزئيّاته وب جزئيّاته فأقول جزئيّات ج في الأعيان ليس فيها جهتان طابقها الامتداد بجهةٍ والجيميّة بالأخرى بل هو امتداد واحد في الأعيان مثلاً ثلاثة أذرع وطابق الامتداديةَ لذاته والجيميّة أيضاً وليس شيء منه طابق الامتدادية غير ما طابق الجيميّة في الأعيان.

سؤال فيه امتدادية وزايد؟

جواب إن كان في الأعيان فالزايد أيضاً امتداد فليت شعري كمّ الأصل وكمّ الزائد والكلام عائد إليهما، وأمّا في الذهن فليس مفهوم الجيميّة والامتداديّة واحداً وإلاّ فالامتداد قيل على باء فكان كذا الجيم وليس كذا بل كلّ جزئيّ من الجيم امتداد واحد وجيم واحد وشخص واحد وكذا باء، فتعيّن ههنا ضابطان: أحدهما أنّه لا يلزم من التغاير الذهنيّ التغاير العينيّ، والثاني أنّ الجيم والباء ليس الامتياز بينهما بما وراء الامتداد بل بكمالٍ ونقصٍ في نفسيهما فكلّ كلّيّ واقع بالتشكيك لا يلزم أن يكون الامتياز بين شخصيّاته في الوجود بما وراء الماهيّة كبُعدين طويل وقصير ذكرناهما من حيث هما كذلك ليس الطول وراء البعدية امتاز به غيره وكذا إلاّ شدّ بياضاً والنقص بلى يجوز أن يكون ثَمّ مميّزات أخرى ولكن حكمتُ بعدم اللزوم عند التفاوت.

(١٣) **فائدة** لا يجوز أن يقال الوجود في الأعيان زائد على الماهيّة لإنا عقلْناها دونه فإنّ الوجود أيضاً كوجود العنقاء فهمناه من حيث هو كذا ولم نعلم أنه موجود في الأعيان فيحتاج الوجود إلى وجود آخر فيتسلسل مترتّباً موجوداً معاً إلى غير النهاية وعرفتَ استحالته.

سؤال الوجود وكونه موجوداً واحدٌ فما لغيره منه فله في ذاته؟

جواب فهمناه مضافاً إلى الجنّ مثلاً كما سبق ولم نعلم أنه حصل فوجود الوجود غيره كما قيل في أصل الماهيّة ولو كان موجوداً لكونه وجوداً فكان لماهيّته كذا فلا يتصوّر أن ينعدم ثمّ إذا زاد وجود الوجود عليه متسلسلاً لا يحصل الوجود للشيء إلاّ وإن يوجِدَ الفاعلُ وجودَ وجوده وهكذا صاعداً فلا يحدث حادث في

زمانٍ إلاّ ويحدث قبله فيه ما لا يتناهى والمتوقّف على ما لا يتناهى مترتّباً غير حاصل بعد لن يحصل أبداً، ثمّ إذا كان الوجود في الأعيان صفةً للماهيّة فهي قابلة إمّا أن تكون موجودة بعده فحصل مستقلاً دونها فلا قابليّة ولا صفتيّة أَو قبله فهي قبل الوجود موجودة أَو معه فالماهيّة موجودة مع الوجود لا بالوجود فلها وجود آخر وأقسام التالي كلّها باطلة فالمقدّم باطل، وإذا أخذ الموجودات شيئاً واحداً أَوْ إن لا موجود إلاّ واحد هو جيم فليس ثَمّ اضافةٌ إلى أمر آخر حتى يقال أنه كائن في الأعيان أو في الخارج عن الذهن بل ماهيّة كما هي، والوحدة أيضاً ليست في الأعيان وراء الماهيّة المقولة عليها فإنّها إن كانت فهي موجود واحد من جملة الموجودات ثانيه الموصوفُ به فإنه كما يقال ذات وذوات كثيرة يقال واحد وآحاد كثيرة فعاد الكلام إلى وحدة الوحدة مترتباً متسلسلاً معاً.

سؤال وجود الوحدة ووحدتها هي؟

جواب فوحدة الوجود هو حتّى لا يذهب أصلاً فإذا قلنا وجود كذا غير ماهيّته فإنما نعني بحسب التفصيل الذهنيّ وإنّما قلنا شيء كذا وجوده عين ماهيّته أي لا يتصوّر في مفهومه أن يفصّله الذهن إلى وجودٍ وشيء آخر، ولو لم تكن الصعوبة في هذا إلاّ أنّ الوجود إذا أضيف إلى الماهيّة فاضافته موجودة ولوجودها اضافة مستمرّاً هكذا إلى غير النهاية لكفى.

(١٤) **قرينة** والذاتيّات في بسائط الأنواع كاللونية في السواد التي لا يجوز بحسبها أن يقال جُعل اللون فجعُل سواداً كما لا يجوز أن يقال جُعل سواداً فجعل لوناً المخالفةُ لذاتيّات الغير البسايط الجائز فيها أن يقال جُعِل جسماً مثلاً فجُعِلَ حيواناً لا يجوز أن يكون لها وجود غير وجود الذاتي الآخر فإنّ اللونيّة لو كان لها وجودٌ غير وجود ما به خصوص السواد وليست بمستدعية له لماهيّتها وإلاّ لازمها فَلَنا أن نستبقي لونيّة السواد مع زواله بخصوصه مُقرِنين بها خصوصَ بياضٍ كاستبقاينا الهيولى مع زوال صورةٍ نبدّلها وإذ لا جعلانِ فلا وجودانِ فهي شيء واحد، ولو كان للجنس وجود غير ما للفصل عيناً لكانت الجوهريّة المقولة على

الهيولى والصورة لها وجود في الهيولى فلها فصل آخر موجود ثم فصلها جوهر آخر أيضاً إذ لا يقوّم الجوهر غير الجوهر ثم ما زاد به الفصل على الجوهريّة له وجود آخر في الأعيان فلا بدّ له من جوهريةٍ هكذا متسلسلاً مترتّباً مع أنّه يحصل في الهيولى تركيب قابليّ صوريّ.

سؤال يلزمك مثل هذا التسلسل في الأذهان؟

جواب خطرات الأذهان لا يجب فيها النهاية.

سؤال خالفتَ المعلّم الأوّل «ارسطاطاليس»؟

جواب هذا بعينه موافقته إذ بهذا فرق بين الجنس والمادّة أي بالجعلين، والسواد بكلّيته محسوس وكذا البياض وليس في ذات أحدهما ما يطابق شيئاً من الآخر في الحسّ أصلاً بل في العقل بخلاف ما بين جسمٍ وجسمٍ مثلاً حيوانيّ ونباتيّ.

(١٥) **قرينة أخرى** والإمكان والوجوب ليسا بزايدَين في الأعيان على الماهيّة وإلاّ الإمكان إِن زاد فله وجود فإن كان واجباً من غير نسبةٍ فلا يُوصَف به غيره وإن وجب بنسبته إلى الماهيّة فهو معلول ممكن وله إمكان وكلّ ممكن إمكانه قبل وجوده إذ يقال أمكن فوُجِدَ لا وجد فامكن فإذا كان إمكانه قبله فليس هو ويعود الكلام إليه كما سبق وكذا الكلام في الوجوب ووجوب وجوده مستمرّاً بل هي أمور ذهنيّة والاعتبارات الذهنية لا حدّ لها دون الحقائق العينيّة المترتّبة، فمن جملة المغالطات أخذُ الاعتبارات العقليّة ذواتٍ في الأعيان تُبنى عليها أمور.

سؤال فكيف طابق المختلفاتِ الغير المتطابقة شيء واحدٌ؟

جواب كما سبق في القسطاس الأوّل وليس من شرط المثال المطابقة من جميع الوجوه العقليّة.

سؤال خالفتَ المعلّم الأوّل «ارسطاطاليس» في الإمكان إذ يحكم أن كلّ حادث يتقدّمه إمكانٌ وموضوعٌ؟

جواب ليس ذاك هذا الإمكان بل إمكان لا يوجد للأزليّات وسيأتيك.

(١٦) **مخلص القسطاس** كلّ ما رأيتَ تكرّر أنواعه متسلسلاً مترادفاً فطريق التفصّي ما قلتُ فافهمْ وفتّشْ كلّ كلام حتى لا يقع الأمر ذهنيّاً مأخوذًا ذاتاً عينيّة فتفضي إلى باطل، واطنبتُ لعظم حاجةٍ مسّتْ فيما بعد وكثرة الخبط فيه.

ضابط: كلّ نوعٍ لم يمتنع التكّثر فيه لم يقف فيه النهاية على حدّ وكلّ ما يفرض موجوداً وإن سُلب النهاية عنه يبقى من العدد ما لم يقع بعدُ.

التلويح الثالث
في بقايا تقاسيم الوجود

(١٧) **الطور الأول** من التقسيم أنّه ينقسم إلى واحدٍ وكثيرٍ والحقيقي من الواحد أربعة: الأوّل والأحقّ بالوحدة ما لا ينقسم في الكمّ والحدّ لا بالقوة ولا بالفعل كذات الباري عزّ جاره، والثاني ما لا ينقسم في الكمّ أصلاً قوةً وفعلاً وإن تصور انقسامه إلى أجزاء الحدّ ذهناً كالعقول والنفوس، والثالث الواحد بالاتّصال كالواحد من الخطّ والماء وهو قابل للقسمة بالقوة وأجزاؤه تتشابه وتشاركه في الحدّ، والرابع الواحد بالاجماع كالإنسان الواحد من نفسٍ وبدنٍ مركّب من جلدٍ وعظامٍ ونحوها، والواحد الغير الحقيقيّ هو بحسب شركةٍ إمّا في المحمول فالاتّحاد في النوع يسمّى مشاكلة وفي الجنس يسمّى مجانسة وفي الكيف مشابهة وفي الكمّ مساواة والاتّفاق في الوضع مطابقةً وفي الاضافة يسمّى واحداً بالنسبة كما يقال نسبة النفس إلى البدن كنسبة السلطان إلى المدينة، وأمّا في الموضوع كقولهم الحلو والأبيض واحد أي هما محمولا شيءٍ واحدٍ كالسُكّر مثلاً، ومن لواحق الواحد الهُوَ هو وهو أن يكون ذات واحدة لها اعتباران يشار إليها أن صاحب هذا الاعتبار بعينه ذو ذلك كقولهم هذا القائم هو الطويل، والاحقّ بالوحدة الحقيقيّة مما ذكرناه المتقدّم فالمتقدّم، ومن الواحد تامّ لا إمكان لزيادة فيه وهو هو كخطّ الدائرة، ومنه ناقص وهو ما يمكن فيه ذلك كالخطّ المستقيم والتامّ أحقّ بها، ومن لواحق الكثرة التغاير والتقابل.

(١٨) **طور آخر** في التقسيم، والمتقابلان هما اللذان لا يجتمعان في شيءٍ واحدٍ في زمان واحد من جهة واحدة وذلك على انحاء: الأول تقابل الإيجاب والسلب لا في القضيّة وحدها بل في مثل قولك فرس ولا فرس، والثاني تقابل المتضايفين كالأبّوة والبنوّة والمضاف الحقيقيّ هو الاضافة لا ما حُملت عليه، والثالث تقابل الضدّين وعرفّتهما كالسواد والبياض، والرابع تقابل الملكة والعدم والملكة على المشهور هي القدرة للشيء على ما من شأنه أن يكون له متى شاء كالقدرة على الإبصار والعدم هو انتفاء هذه القدرة مع بطلان التهيّؤ في الوقت الذي من شأنه أن يكون فيه كالعمى لا كما للجرو قبل فتح البصر، والعدم الحقيقيّ المقابل للملكة الحقيقيّة هو انتفاء أمرٍ عمّا فيه إمكان وجوده أو في بعض ذاتيّاته كالعمى والظلمة وانتثار الشَعَر بداء الثعلب الذي هو بعد الملكة والمروديّة التي هي قبلها وعدم البصر الممكن في حقّ الشخص الأعمى وانتفاء اللحية للمرأة الممكنة لنوعها كلّ هذه عدميّات. وليس هذا عدماً بحتاً لأنه يشترط فيه الإمكان ويكذب على المعدوم لهذا، ومن التقابل ما بين الواحد والكثير وليسا بضدّين لتقوُّم الكثير بالواحد وليس تقابلهما بالسلب والإيجاب والعدم والملكة لأنهما وجوديّان وليسا بمتضايفين إذ الوحدة قد تكون دون إضافةِ كثرةٍ ومن ذلك تقابل الصور كالمائيّة والهوائيّة، فعدم الخلوّ والجمع خاصّيّة الأوّل لا بدّ من صدق أحد طرفيه وكذب الآخر. والباقيات تكذب على المعدوم ومنها ما يكذب على غير المعدوم، وخاصّيّة الثاني التلازم وخاصّيّة الثالث الواسطة وجواز الانقلاب إليها من الجانبين ولا يوجد لغيره، والفرق بين الضدّين والعدم والملكة أنّ لكلّ من الضدّين وجوداً وله علّة وجوديّة والعدم لا ذات له ولا يحتاج في تصوّره إلى غير لا كوْن الملكة في الموضوع وعلّة العدمى كالسكون عدم علّة الملكة كالحركة.

(١٩) **طور آخر** وينقسم الوجود إلى متقدّمٍ ومتأخّرٍ، فمن المتقدّم ما بالزمان كما لموسى على عيسى، وما بالشرف كما لأبي بكر الصدّيق على عمر، وما بالطبع كتقدّم الجزء على الكلّ مثل ما للواحد على الإثنين وبالجملة تقدُّم ما يمتنع بعدمه

الشيء ولا يجب بوجوده وحده، والتقدّم بالرتبة فمنه ترتبيّ وضعيّ وهو ما بحسب المكان كتقدّم الإمام على المأموم بالنسبة إلى المحراب ويتقدم عليه المأموم بالنسبة إلى الآتي من الباب، وطبيعيّ كترتّب العموم كما إذا ابتدأتَ من الجوهر هابطاً إلى الإنسان وجدتَ التقدّم للأعمّ فالأعمّ وإذا ابتدأتَ من الإنسان رجع التقدّمُ إلى الأخصّ فما يليه، وكلّ ترتيبٍ يتقدّم متأخّره بحسب الابتداء من الجوانب، والتقدّم بالذات وهو تقدّم العّلة الكاملة على معلولها فنقول تحرّك الإصبعُ فتحرّك الخاتم وما تحرَّك فما تحرَّك ولا نقول تحرّك الخاتمُ فتحرّك الإصبعُ وما تحرّك فما تحرّك، وأقسام التأخّر تُوازيها، وكذلك المعيّة ولا يجتمع التقدّم والتأخّر باعتبارٍ واحدٍ في شيءٍ ويجوز بالاعتبارين.

(٢٠) **طور آخر** وينقسم الوجود إلى عّلةٍ ومعلولٍ. فالعّلة على أحد مفهومَيها هي الشيء الذي يحصل من وجوده وجود شيء آخر وبالجملة ما يجب بوجوده وعدمه وجودُ شيء آخر وعدمه، والمعلول ما يكون وجوده من شيء آخر ويصير ضروريّ الوجودِ والعدمِ لوجوده وعدمه، وقد يقال العّلةُ بازاء ما له مدخل في وجود الشيء فيمتنع بعدمِه ولا يجب بوجوده، وهذه أربعة: فاعليّةٌ وهي ما به وجود الشيء كالنّجار للكرسيّ وقد تكون بالقوة كما هو قبل الشروع وقد تكون بالفعل كما هو بعده كانت كلّيّة كمطلقةٍ أو جزئيّة كالمشار إليه، منه عامّةٌ كما قيل الصانع علّة للكرسيّ أو خاصّةٌ، وقد تكون هذه أي الفاعليّة قريبة كالعفونة للحمى وقد تكون بعيدة كالاحتقان مع الامتلاء، والأخرى مادّيّة وهي التي عنها الشيء كالخشب للكرسيّ، والصوريّة وهي التي يلزم منها وجود الشيء كصورة الكرسيّ فإنّها إذا وُجدت يلزم أن يكون الكرسيّ موجودًا لا بها بل بها وبغيرها، والغائيّة وهي التي لأجلها الشيء كحاجة الاستواء عليه وهي علّة فاعليّة للعلّة الفاعليّة لماهيّتها ومعلولةٌ في الوجود لها لا في علّيّتها، وهي تخرج إلى الفعل بعد الشيء وفي الحقيقة العلّة الغائيّة ما هي متمثّلة عند الفاعل لا الواقعة عينّاً، والعلّة قد تكون بالذات كالطبيب للعلاج وقد تكون بالعرض على جهتين أحداهما أن تكون العلّة

بالذات غير ما وضع كالكاتب للعلاج وإنّما بحسب كونه طبيباً، والأخرى أن يكون المعلول غير ما وُضع ككون السقمونيا مبّرداً فإنه ليس بالذات كذا بل لأنّه يستفرغ الصفراء، والعلّة القريبة للجسم المادة والصورة، والفاعل المطلق للشيء ما هو علّة لجميع أجزائه وإن كان يجوز أن يكون علّة للمجموع لأنّه علّة بعض الأجزاء، وبالمعنى الأوّل لا يجوز أن يكون للشيء الجزئيّ علّتانِ فإنه إن لم يكن لإحداهما مدخل في وجوب الشيء ووجوده فليس بعلّةٍ له وإن كان له مدخل فهو جزء العلّة الكاملة والشيء الكلّيّ يجوز أن يكون له علّتانِ كالحرارة الكلّيّة التي عرفتَ عللها والإمكان للماهيّات الجوهريّة والعرضيّة.

(٢١) **طور آخر** وينقسم الوجود إلى ما هو بالفعل وإلى ما هو بالقوة فالأوّل ما هو حاصل والثاني ما هو غير حاصل ولكنّ له استعداد الحصول وإن كان القوة قد تقال على المعنى الذي به يتهيّأ الفاعل للفعل وإذ ذاك ليس لعموم جوهريّته أو جسميّته فلِمعنى زائدٍ وعلى المعنى الذي به يتهيّأ الشيء للانفعال وإذ لم يكن لأمرٍ عامٍّ فلشيء يخصّه وإن كان القوة قد تقال لِمعنىً في شيء يأبى عن التغيّر والانفعال، والقوة الثانية غير الأولى فإنها تجتمع مع الفعل ولا كذلك الأولى.

(٢٢) **طور آخر** وينقسم الوجود إلى واجب وممكن والممكن هو الذي ليس بضروريّ الوجودِ والعدمِ وهو ليس بعدميّ فإنّه يجتمع مع الوجود والماهيّاتِ فلا يكون عدمَها وسلبَها وليس عدمَ الواجب فيكون الممتنع أيضاً عدمَه فللشيء عدمانِ وذلك مُحال بل اعتبارٌ عقليّ وجوديّ والممتنع سلبهما، والممكن بشرط حضور العّلة الكاملة يجب وجوده وبشرط عدمها يمتنع وعند قطع النظر عن الشرطين يمكن في نفسه، ومن خاصّيّة الممكن صدْقُ قسيمَيه عليه بشرائط وليس لغيره من الجهات هذا، والممكن لا يصير موجوداً من نفسه إذ لو ترجّح وجوده على عدمه لذاته فهو واجبٌ وعدمه على وجوده فممتنعٌ بل وجوده لوجود علّته وعدمُه لعدمها، والواجبُ بذاته لا يجب بغيره فإنه إن بقي وجوبه عند فرضِ عدم الغير فلا تعلُّق أَوْ لا يبقى فهو ممكن بذاته لا واجب، ولا بدّ من اعتبار الوجوب أوّلاً حتى يُوجَد

الشيء فإنّه إن وُجد ثمّ وجب فقد وُجد دون الترجّح ولا بدّ من الترجّح فالترجّح بالعلّة فإنّ ما فُرض علّته إذا كان نسبةُ الممكن إليها الإمكانَ كما في نفسه لا يوجد به.

(٢٣) **فصل** وزوال المانع كسقوط القائمة أيضاً له مدخل في علّة الهَوِيّ للسقف.

سؤال كانت مَانعة والعلّة الطبع؟

جواب لو كان يجب بالطبع وحده دون سقوط المانع لوُجد وإذ لم يجبّ إلاّ مع الزوال فهو جزء العلّة إذ المعلول إذا لم يقع بما فُرض علّةً فليس بعلّة لأنّ النسبة إليه بعدُ إمكانيّةٌ.

سؤال واجبة به لولا المانع؟

جواب صحيح أي به مع عدم المانع يجب وذلك ما نقول.

سؤال العدم كيف يقال أنه علّة؟

جواب أمّا العدم وحده لا يجوز أن يكون علّة كاملة ولا علّة مفيضة للوجود وهذه أعلى العلل بل شيء مّا باعتبار العدم يجب به آخر فإذا أخذ المجموع لا يكون عدماً بحتاً، أمّا العدم البحت لا يجوز أن يكون معلولاً إلاّ بالعرض فإنّ الأمر الوجوديّ إذا أثّر في العدم فيكون أثّر في لا شيءٍ وكلّ أثر في لا شيءٍ ليس بشيءٍ فلا علّيّة فليس العدم مقدوراً ولا معلولاً.

المورد الأوّل

في واجب الوجود
وما يليق بجلاله وكيفيّة فعله
(وفيه خمس تلويحات)

التلويح الأوّل
في ذاته

(٢٤) **ولما كان** كلّ واحد من الممكنات محتاجاً إلى العلّة فجميعها محتاج لأنّه معلول الآحاد الممكنة فيفتقر إلى علّة خارجة عنه وهي غير ممكنة وإلاّ كانت من الجملة فهي إذن واجبة الوجود، وأيضاً السلسلة المرتّبة من عللٍ ومعلولاتٍ متناهيةٌ فتنتهي إلى ما لا يمكن فيجب إذ لا وجه للامتناع، ونمهّد على طريق آخر فنقول المجموع معلول الآحاد فعلّته الكاملة إن كان كلّ واحد فيكون علّةٌ لنفسه ولعللِه أو الجملة فهي والمجموع واحد أو بعض كيف اتّفق والبعض معلول فإذا لم يكن فيها غير معلول فجميع أبعاضه محتاجة إلى ما وراءها الخارج عن السلسلة الامكانيّة وهو واجب الوجود، وكنّا نسلك في غير هذا الكتاب اقتداءً ببعض الكبّار «أبي علي ابن سينا» مسلكاً وهو أن الواجب الوجود لا يجوز أن يكون وجوده غير ماهيته فإنّ الماهيّة يجوز أن تكون علّة لبعض صفاتها كالمثلّث لزواياه ولا يجوز أن تكون علّة لوجود نفسها فتكون قبل الوجود موجودة ولا يكون الوجود الذي هو

صفة الماهيّة واجباً إذ كلّ عرضيّ بيّنٌ أنه ممكن فكلّ ما وجوده غير ماهيّته ممكن، نقدٌ: وهذا اقناعيّ فإن لقائلٍ أن يقول على هذا الطريق الوجود المحمول على الماهيّات عرضيّ وكل عرضيّ يتأخّر وجوده عن وجود الماهيّة وكذا الصفة فالماهيّة قبل الوجود يجب أن تكون موجودة هذا محال والقسطاس أثبَتَ أن الوجود في الأعيان لا يزيد على الموجود فانهدم الأساسان.

(٢٥) **وأقول بطريق عرشي** أن الذي فصل الذهنُ وجوده عن ماهيّته فماهيّته إن امتنع وجودها لعينه لا يصير شيء منها موجوداً وإذا صار شيء منها موجوداً فالكلّيّ له جزئيّات أخرى معقولة لا تمتنع لماهيّتها إلاّ لمانع بل ممكنة إلى غير النهاية وقد علمتَ أنّ كلّ ما وقع من جزئياتِ كلّيٍّ بقي الإمكان بَعدُ فإذا كان هذا الواقع واجب الوجود وله ماهيّة وراء الوجود فهي إذا أخذتْ كلّيّةً أمكن وجودُ جزئيٍّ آخر لها لذاتها إذ لو امتنع الوجود للماهيّة لكان المفروض واجباً ممتنعاً باعتبار ماهيّته هذا محال، غاية ما في الباب أن يمتنع بسبب غير نفس الماهيّة فيكون ممكناً في نفسه.

سؤال أو يكون واجباً؟

جواب جزئيّات الماهيّة الكلّيّة وراء ما وقع ممكناتٌ كما سبق فليست واجبة فإذا كان شيء من ماهيّتها ممكناً فصار الواجب أيضاً باعتبار ماهيّته ممكناً وهذا محال فإذن إن كان في الوجود واجب فليس له ماهيّةٌ وراء الوجود بحيث يُفصِّلها الذهن إلى أمرين فهو الوجود الصِرف البحت الذي لا يشوبه شيء أصلاً من خصوص وعموم، وما سواه لمعة عنه أو لمعة عن لمعةٍ لا يمتاز إلاّ بكماله ولأنّه كُلّه الوجود وكلّ الوجود.

سؤال فالوجود كلّيّ فله جزئيّات ممكنة وأتُمِّمَ على ما سبق؟

جواب صِرف الوجود الذي لا أتمّ منه كلّ ما فرضتَه فإذا نظرتَ فهو هو إذ لا مَيْز في صرف شيء والمخالطُ منه ليس هو الواجب المذكور إذ الذي فصّله الذهن إلى وجود وماهيّةٍ ليس ممّا لا يقبل العرضيّ ويمنع الشركة كيف ويقع بالضرورة

تحت مقولة من المقولات؟ وهذه عرشيّاتٌ إلهاميّةٌ فواجب الوجود لا يتكثّر أصلاً وليس في الوجود واجبان.

(٢٦) **طريق عرشي** لو كان في الوجود واجبان لم يمكن الاشتراك بينهما من جميع الوجوه إذ لا بدّ من تميّز ولا الافتراق من جميع الوجوه إذ لا بدّ من الشركة في وجوب الوجود فلا بدّ من اشتراكٍ وافتراقٍ فيلزم إمكان المقَسِّم والمقَسَّم وقد فرضنا واجبين هذا محال، وواجب الوجود لا جزء له من طريق آخر فإنه يصير معلولاً فيمكن.

(٢٧) **قال المحصلون** واجب الوجود إن كان نوعه يقتضي أن يكون هو فلا يكون من نوعه واجب آخر وإن لم يكن فتخصّصُ نوعه به لعّلةٍ فلم يجب فنوعه هو فحسب، وإذ لا جزء فلا جنس ولا فصل فكلّ جسم منقسم بالكمّ وأجزاء الحدّ وكلّيُّهُ ينقسم إلى أنواع وأشخاصٍ وليس واجب الوجود كذا فالجسم والقائم به ممكن فيحتاج إلى واجب قبله.

سؤال واجب الوجود يشارك الأشياء في الوجود فلا بدّ وأن يفارقها بشيءٍ فيتركّب ويصير معلولاً؟

جواب الامتياز قد سبق أنّه بما وراء الماهيّة يجب فيما يقع بالتواطؤ وفي الكلّيّ الواقع بالتشكيك يصحّ الامتياز بالكمال في نفس الشيء وقد علّمك القسطاسُ السابق.

سؤال الوجود المطلق إِن اقتضى أَن يكون واجباً فليكُن كلّ موجود كذا وإن لم يقتض فالوجوب ممكن فواجب الوجود وجوبه ممكن؟

جواب أمّا إنّ الواجب بذاته من أقسام الوجود ضروريٌّ ساعدتَني عليه وإمّا إنّ مفهومه لا يقتضي الضرورة إذ هو واقعٌ على الحادث والممكن أيضاً بيّنٌ وساعدتَ فقولك في المقدّمة وإن لم يقتض الوجود أن يكون واجباً فوجوبه ممكن غير صحيح إذ الوجوب لا يمكن إلاّ أَن يُعنَى به الإمكان العامّ أو المحتمل فلا يضرّه أن يمكن فلا ينتج نقيض مقصودنا، وإذا تأمّلتَ القسطاس السابق لا ترى لهذا اتّجاهاً

إذ للماهيّة الذهنيّة المطلقة اعتبارات غير ما للماهية العينيّة الواقعة وهو واحد ولا تزيد وحدته عليه وقد علّمك القسطاس، واندفع بالقسطاس أيضاً ما يُظَنّ من أنّ الوجوب يزيد عليه مع أنّ الوجوب ليس إلاّ كمال الوجود الغير المحتاج إلى علّةٍ فحسب، واجب الوجود لا يشارك الأشياء في معنىً جنسيّ فلا يحتاج إلى فصل.

سؤال هو موجود لا في موضوع فيقع تحت مقولة الجوهر؟

جواب ليس هذا حدّاً للجوهر ولا رسماً حقيقياً ومع ذلك لا نعني الموجود لا في موضوع بالفعل حتى ان مَن علم أنّ الجيم جوهر علم بالضرورة أنه موجود ونسبة الجوهرية إليه غير معلولة بخلاف الوجود بالفعل بل معناه أن له ماهيّةً إذا وُجدت تكون لا في موضوع والوجود البحت ليس كذا، ثم الوجود إذا لم يكن جنساً كما سبق فبإضافة أمرٍ سلبيٍّ ما استحقّ الجنسيّةَ، وإذ لا جنس له ولا فصل له فلا حدّ له وإذ لا واجب غيره فلا ندّ له ولمّا كان بريّاً عن الموضوع فلا ضدّ له على ما سبق وكلٌّ معلوله فلا ضدّ له الذي فُسّر في اطلاق العامّة بالمُساوي في القوة الممانع، ولا بعد له فلا جهة ولا إشارة إليه إلاّ بإشارة عقلية وهو الوجود البحت فلا ذات في نفسه موجودٌ إلاّ هو إذ كلّ هويّة شَرَرٌ من نوره فلا هو على الاطلاق إلاّ هو، ولمّا امتنع فيه القسمة على الاعتبارات فهو الواحد المطلق، وهي الحقّ لأنّ حقيقة كلّ شيءٍ خصوصية وجوده الثابت له فلا أحقَّ بالحقيقة ممّن نفسُ وجودِه خصوصيّة والحقّ قد يقال بازاءِ ما يكون الاعتقاد بوجوده صادقاً فلا أحقّ بأن يكون حقّاً ممّن يدوم الاعتقاد بوجوده صادقاً بل وبأنّه لذاته موجود بل ولأنّه هو الوجود البحت، وهو الخير المحض باعتبار أنّه يتشوّقه كلّ شيءٍ ومنه وجوده وباعتبار أنه نافع والشرّ عدميّ كما ستعرف والامكان شرٌّ إذ ليس فيه استحقاقُ وجودٍ وأُخِذ عدميّاً لهذا المعنى فالخير المطلق هو الوجود المطلق وهو تامّ لم يفصل من نوعه ما يكون ذاتاً أخرى.

(٢٨) **وطريق آخر** من البرهان على واجب الوجود هو أنّ الهيولى غير واجبة ولا الصورة وإلاّ استغنى كلٌّ عن صاحبه ولا يجوز أن يكون شيئان كلٌّ يجب به

وجود الآخر فيكون علّة لنفسه وعلّته وذلك مُحال فمجموعهما وهو والجسم ممكن ومحتاج إلى واجب غير جرميّ وإلاّ عاد الكلام إليه، والأجسام واجبة التناهي ولا يتركّب ذلك الواجب عن أمرين وإلاّ لكان حاله حال الجسم، وأيضًا لمّا عرفتَ أنّ الحركات ليست بطبيعيّة للجسم فلها محرّك غير متحرّك وغير متغيّر فإنْ أمكن انتهى إلى واجبٍ، والطريق الأوّل أشرف فينظر إلى الوجود فيشهد بالواجب فنعرف الواجب وبه غيره.

(٢٩) **طريق آخر** وإذ يسّر الله لنا برهان حصر المقولات فيما ذكرنا فواجب الوجود لا يقع تحت مقولةٍ إذ ما من مقولة إلاّ وشوهد من جزئياتها حادثٌ أو مفتقر إلى مميّز أو محلٍّ فيكون ممكناً فيمكن جنسه المخصَّص ففي طبيعة جنسه الإمكان إذ ما يجب لماهيّته لا يمكن بسببٍ فجميع المقولات ممكنة مفتقرة إلى واجب لا يقع تحتها فيكون وجوداً بحتاً غير متكثّر فيحوج التكثّر إلى مميّزٍ مؤذنٍ بالإمكان.

التلويح الثاني
في كلام جمليّ في صفاته

(٣٠) **ان من المعقول** قسمَين: ذاتٌ كمالها بنفسها، وذاتٌ فُرض أنّ جميع ما للأولى بنفسها فلها مع الضمّات، وصريح العقل حاكمٌ بأن الأولى أتمّ لعدم افتقارها في كمالها إلى زايدٍ، فالمتجرّدةُ عن الصفات إذا كان لها في نفسها من الكمالات ما للمحفوفةِ بها بل أكثر فهي أكمل.

ضابط: كلّ ذات فعلتْ وقبلت فالفعل بجهة والقبول بأخرى لوجهين: الأوّل أن الفعل للفاعل قد يكون في غيره والقبول للقابل لا يكون في غيره، والثاني إن القابلّية لا تقتضي إلاّ التّهيّؤَ والاستعداد والفاعليةُ مقتضية للوجوب فالمقتضى للامكان غير جهة تقتضي الوجوب، والوجوب مبطل للقوة التي اقتضاها القابلّية ولا يُبطل شيء بذاته ما اقتضاه لذاته فهما جهتان، ولو كانتا جهةً واحدةً لقبل كلّ ما فعل

بنفسه وفعل كلّ ما قبل بنفسه وهاتان الجهتان يعود الكلام إليهما حتى ينتهي إلى جهتين في حقيقة الذات إن كان ما استفادتهما من غيرها.

(٣١) **مخلص** واجب الوجود لا يجوز أن يكون له صفة واجبة لما علمتَ ان لا واجبان في الوجود ولا شيئان كلّ هو الوجود البحت، وأيضاً بالضرورة قامت الصفات بالذات فإن قامت أيضاً بها فليس ولا واحد منهما بواجب، أو قامت الصفات وحدها بها وكلّ ما قام بغيره لو لم يكن هو لم يكن فوجوده بغيره فيمكن لذاته فالصفات ممكنة، وليس مرجّحها الذات فتقبل الذات الوحدانية وتفعل بجهةٍ هذا محال ولا غير الواجب إذ لا واجب غيره ولا ينفعل أيضاً عن معلوله وهو بيّنٌ مع أنّه يكون فَعَلَ وانفعل عن الفعل فاشتمل على جهتين تعالى الواحد الحقّ عنهما، فمن الامّهات العوالي العرضيّة لا يجوز عليه إلاّ الإضافة كالمبدأيّة والعلّيّة إذ يتغيّر ما على يمينك أو في محاذاتك دون تغيّرك فلا يحتاج إلى قبول وتغيّر في نفس الشيء، وما سواها من العوالي يلزم منها شيءٌ من المحالات التي ذكرتُ، فله تعالى صفات إضافيّة لا صفات يلزمها الإضافة فتكون في نفسها كيفيّة أو نحوها ويلزم ما قلنا، وله صفات سلبيّة كالقدوسيّة والفرديّة والأحديّة وهي سلوب لعوارض وقسمةٍ لا تخلّ بوحدانيّته عزّ سلطانه.

(٣٢) **ضابط جامع** كلّ شيء حكم العقل أنه كمالٌ لذاتٍ مّا من حيث هي ذات وموجودٌ من غير اعتبار خصوص تجسّمٍ وتركّبٍ وعارض مّا وتكثّرٍ وممكنٌ بالإمكان العامّيّ فيمكن بالإمكان العامّ على واجب الوجود فيجب لأنّه كمال للوجود من حيث هو وجود ولا يوجب تكثّراً فلا يمتنع، والوجود البحت الواجبيّ أولى بكلّ كمال غير متكثّر وهو المعطي لكلّ كمال ويمتنع أن يعطي الكمالَ القاصرُ عنه فيصيرَ المستفيد أشرف من المفيد هذا محال، وإذا كان العلم والحيوة وغيرهما كذا فتجب له والممكن العامّ على واجب الوجود يجب له إذ لا يمكن بالإمكان الخاصّيّ شيء عليه فيوجبَ فيه جهة إمكانيّة فيتكثّر وهذا تعرفه فيما أخّرناه لغرضٍ.

التلويح الثالث
في الفعل والإبداع

(٣٣) **ظن العامة** إن «الفعل» هو أن يكون وجود شيء عن غيره بعد إن لم يكن، وكثير منهم قال: إن البارئ فرضُ عدمه لا يُخلّ بوجود العالم؛ إذ «الموجود» بوجوده استغنى عن الفاعل فلا يُوجِد ما وُجد؛ ومثّلوا بالبناء الباقي بعد البنّاء، قلنا أن ننظر فيما إذا كان وجود شيءٍ عن غيره بعد أن لم يكن فإنّه سلّم «مفعوليّته»، فنرى ما له مدخل في المفهوم، وما زاد وأُوردَ فصار أخصّ «من المفعول» أو وجب فحُذِفَ فصار أعمّ كتقييدٍ «بالإرادة» أو «بالطبع» فنقول: أمّا إن هذه لا مدخل لها فلأنّ التقييد بها لا يناقض مفهوم «الفعل» ولا يوجِب التكرير كقولك: «فَعَلَ بالطبع»: لو كان مشروطًا فيه «الإرادة لناقَضَ» أَوْ «الطبع» لتكرّرَ.

وأمّا أَنّ التقييد «بسبق العدم» لا وجه له فلأنّ «العدمَ» لِلحادثِ لا ينسب إلى «الفاعل» بل نسبة الحادث إليه من حيث افادة الوجود، حتى لو وُجد بذاته بعد العدم لم يكن «فعلاً» فإذن التعلّق بالفاعل من حيث تعلّق وجوده الممكن به، ومفهوم «الوجوب بالغير» لذاته لا يمنع الدوام واللادوام وتعلم أنّ الصفة الدائمة للشيء الغير الدائمة لغيره حملُها عليه أولى منه ولم يلحق الثاني إلاّ وقد لحق الأوّل دون العكس، فإذا كان شيئان: واجبٌ بغيره دائماً، وواجبٌ به وقتاً مّا، فلم يلحق الوجوب بالثاني إلاّ وقد كان لاحقاً بالأوّل فيصّح أن يقال «للدائم» أنه واجب بغيره وقتاً مّا، ولم يمكن أن يقال «للحادث» أنّه واجب به دائماً، فالأوّل هو أحقّ بالنسبة إلى «الفاعلية» و«المفعولية» وإن لم يسمَّ «مفعولاً» اصطلاحاً، فلا مشاحّة فيه فليخترع له اسم أعلى وهو «الإبداع».

ثمّ الممكن لا يصير واجباً من ذاته، فترجُّحه ـ ما دام موجوداً ـ ووجوبُه، بغيره، إذ لو انتفى الفاعل وبقي لذاته صار واجباً في نفسه مرجّحاً.

سؤال: الوجود في الزمان الأوّل رجّح بقاءَه في الزمان الثاني؟

جواب: المرجّح لا بدّ وأن يبقى لدى الترجيح، إذ المعدوم لا يرجّح،

والإضافة إلى الزمان باطلة ببطلانه فكيف يرجّح؟! وأمّا مثال البناء والبنّاء فليعلم أنّ الشيء قد يكون له علّة وجود وعلّة ثبات، كالصنم مثلاً، فإنّ علّة وجوده الفاعل وعلّة ثباته يبوسة العنصر الحافظ لشكله، وقد يكون علّتهما واحدة، كالقالب المشكِّل للماء المبقي للشكل ببقائه معه فإذا عدمت علّة الوجود لم تبق علّة الثبات فلا تصوُّر للوجود.

التلويح الرابع
في ترتيب المعلول على العلة والإشارة
إلى كيفية العلل التي وجب فيها النهاية وما لم تجب

(٣٤) **اعلم** إن وجود المعلول متعلّق بالعلّة من حيث هي على الجهات التي صارت به علّة من وجودِ ما ينبغي وارتفاعِ ما لا ينبغي، كالحاجة إلى معاونٍ كالنشّار إلى مثله أو وقتٍ أو مادةٍ أو زوالِ مانعٍ أو وجودِ آلةٍ أو ارادةٍ أو داعٍ، كحاجتك في إرادة الأكل إلى الجوع. وكلّ ما يصير به أمرُ مّا علّةً لغيره بالفعل فله مدخل، فإذا وُجد الجميع لم يتأخّر عنه المعلولُ، وإذا انتفى المعلول فإمّا لانتفاء علّته بجميع أجزائها، أو لانتفاء جهةٍ هي بها علّةٌ؛ فإذا استمرّ عدم العلّة على الطريقين دائماً تسرمد عدم المعلول وإذا تسرمد وجودها بالفعل تسرمد المعلول.

و«الإبداع» هو أن يكون وجود شيءٍ عن شيءٍ غير متوقّف على غيره أصلاً، كمادّةٍ ووقتٍ وشرطٍ مّا؛ وهو غيرُ «التكوين» المنسوب إلى المادّة و«الاحداثِ» المنسوب إلى وقتٍ، وأعلى منهما، فكلّ مسبوق بالعدم غيرُ مُبدِعٍ لحاجته إلى حضور أمرٍ مّا مما ذُكر.

[في إثبات الحدوث الذاتي للممكنات]

(٣٥) **واعلم** إنّ الممكن المتأخّر عن العلّة الكاملة بالذات، إنما وجوبه بغيره بعد إمكانه لذاته عقلاً، إذ لو وجب بذاته أو امتنع، فلا تعلّق له بالغير، والممكن لا يستحقّ الوجود، لستُ أقول يستحقّ العدم ليمتنع، فلا استحقاقُ وجوده باعتبار

الامكان قبل استحقاق الوجود بغيره، فلا كونه يتقدّم عقلاً على كونه، وهو «الحدث الذاتيّ» المتحقّق في كلّ وقت في دائم الوجود بغيره أيضاً، إذ من ذاته لا يستحقّ الوجود، ومن غيره يستحقّ و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] أي جهة الوجوب به.

فإذا حدث شيء، فلا محالة تَرجّح وجوده ولا بدّ وأن يكون المرجّح أو جهةٌ مّا لها مدخل في الترجيح حدث، إذ لو دام الترجيح لدام الترجّح والوجود، ثم يعود الكلام إلى الحادث المترجّح غيرَ منقطعٍ، إمّا أن يتسلسل علل حادثة واقعة معاً، وقد بطل بالبرهان والضابطِ، أو يتسلسل علل متعاقبة ويتعيّن هذا ولا ينقطع إذ يعود هذا الكلام في أوّل حادث، فكلّ حادث فلحدوثه أسبابٌ متسلسلة عديمة النهاية متعاقبة لا تجتمع أصلاً.

والحادث من غير الحركات الغيرِ الواقعة دفعةً إن لم يبق، فآنُ وجوده غيرُ آنِ عدمه وبين الآنين زمان فله ثبات، فلا بدّ من علّة ثبات، ولا تتسلسل إذ هي معاً، فينتهي إلى الواجب.

ثم من الظاهر أن في الوجود أشياء ثابتة من الممكنات ومجموع الممكنات ثبتت أو بطلت لها علّةُ ثبات، فمبدأ الوجود والثبات للجملة من حيث هي جملة هو الواجب وجوده.

سؤال: الحادث إذا حصل وله علّةُ ثباتٍ فنسبته إليها ليست دائمة وإلاّ لدامت ولكنّها حادثة، فللنسبة علّةُ حدوثٍ وثباتٍ، ثم يعود الكلام إلى نسبة النسبة في نسبتها إلى علّة الثبات فيتسلسل العلل الثابتة إلى غير النهاية.

جواب فلولا وجود شيءٍ ثباتُه على سبيل الحدوث متجدّد الاتّصال وهي الحركة الدائمة المقرّبة والمبعّدة للعلل للزم السؤال شديداً. فالحركة من حيث عدم ثبات آحادها توجب حدوثَ حوادث، ومن حيث ثبات نوعها قد لا تنافي الحادث

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٨.

بل باستمرار مدّةٍ ثبتت نسبةَ الحادث إلى علّته الموجدة والمثبتة حتى يأتي عددٌ من نوعها يوجب قطع النسبة فينعدم الحادث، فأثبتت النسبة بثبات مدّة وأوجبت الحدوث والبطلان لتجدّد أعداد المدّة، فانظرْ إلى حركةٍ أوجبت النهار لطلوع الشمس مدّة وبقاءَها فوق الأرض جملة، تثبت بصنفها مثلاً، متجدّداً اعدادها إلى أنْ قربَتْ من الغروب فبطل النهار؛ فضروريٌّ وجودُ حركة دائمة لا تنصرم، وقد علمتَ أنّها الدوريّة وهي نفسانيّة.

(٣٦) **واعلم** إنّ المباشر للحركة لا يجوز أن يكون عقلاً محضاً أي مجرّداً عن المادّة بالكلّيّة، إذ لا بدّ له من تخيّل حدود جزئيّة، فإنّ الحركة من ج إلى ب غير الحركة من ب إلى د، والرأي الكلّيّ لا تنبعث منه الإرادة الجزئيّة إذ ليس تخصُّصه لنفسه بجزئيّ أولى من غيره، والعقل رأيه الكلّيّ متساوي النسبة إلى النقط فلا يلزم تعيّن نقطة منه، ورعاية الأوضاع لا بدّ لها من قوّة تخيّليّة في جسم فلا يمكن للمجرّد عن المادّة ذلك بل المباشر للحركة نفس.

سؤال: الحركات معلولة للإرادات الجزئيّة، والارادات الحادثة لا بدّ وأن يكون لها علل من نوعٍ فوقها، فيثبت طبقات من الأنواع علل ومعلولات لا تتناهى معاً؟

جواب لولا أنّ النفس المحركة لهذه، لها إرادة كلّيّة تستند إليها الإرادات الجزئيّة للزم هذا، إلاّ أنّ لها إرادة دائمة كليّة بازاء حركةٍ دائمةٍ توجب إرادات جزئيّة؛ فكلّ نقطة نفرض وصول المتحرّك إليها من ضرورة الإرادة الكلّيّة لمطلوب كلّيّ ثابتٍ، تتخصّص إرادة جزئيّة بالتحريك عنها إلى أخرى، فالوصول إلى كلّ نقطة مع الإرادة الكلّيّة علّةٌ، لها جزءٌ ثابتٌ وهو الإرادة الكلّيّة ومتجدّدٌ وهو وصول النقطة للحركة منها إلى غيرها وهذه الحركة علّة الوصول من نقطة إلى نقطة أخرى، فلا زالت الحركاتُ علّةَ الوصول إلى النقط والوصولُ مع الإرادة الكلّية موجبًا للإرادة الجزئيّة. ولا تحتاج الإرادة إلى نفس حركة احتاجت تلك الحركة إليها حتى يلزم الدور، بل إلى عددٍ آخر من نوعها فلا دور ممتنعاً.

سؤال: الحركة إن كانت علّة لحدوث شيءٍ لا تكون قبل وجودها ولا مع وجودها، إذ لا بدّ وأن تحصل ثمّ تصيرَ علّةً، وبعد الحصول لا بقاء للحركة زماناً فلا علّيّة.

جواب: بعد وجودها بالذات ومع وجودها بالزمان، كما يُتوهمّ من حركة الشعاع مع حركة الشمس، أو حصوله شيئاً فشيئاً لحركتها كما يحسّ حقيقةً. وإذ قد علمتَ من طريق آخر إنّ القبليّات لا انصرام لها ولا أوّل منها؛ فمن طريقين ثبت دوام الحوادث سلسلة متعاقبة.

[في أنّ كلّ حادث يسبقه إمكان ومادة]

(٣٧) **فصل**: قيل إنّ كلّ حادثٍ قبل حدوثه ممكن، وليس إمكانه نفس العدم، فقد يكون العدم مع امتناع الوجود، وليس قدرة القادر عليه، إذ يقال هو غير مقدور لأنه غير ممكن قولاً صحيحاً؛ ولو كان المعنى واحداً لكان تعليل الشيء بنفسه، وإذا كان متحقّقاً إمكان الحادث قبله وليس أمراً يقوم بنفسه إذ لو كان كذا لما وُصِف به غيره وما أضيف إليه، فلا بدّ له من موضوعٍ، فكلّ حادث يتقدّمه مادّة وإمكان.

(٣٨) **تفصيل**: قول المعلم الأوّل ارسطاطاليس أنّ كلّ حادث يسبقه قوة وجود وموضوعٌ، لا يعنى به الإمكان الحقيقيّ، لما سبق في القسطاس، إذ «الإمكان» إن كان حادثًا عاد الكلام إليه، وهكذا إن كان دائم الوجود، إذ لا بدّ له من أن يمكن على ما سبق، ويسبقه إمكانه إذ لا يجب بالغير ما لا يمكن أوّلاً وينجرّ الكلام إلى سلسلة موجودة أجزاؤها معاً ممتنعة؛ بل الإمكان اعتبار ذهنيّ.

سؤال: هو ممكن في الأعيان؟

جواب: أي هو محكوم عليه ذهناً أنّه ممكن في الأذهان، أو محكوم عليه ذهنًا أنه ممكن في الأعيان، والحكم الذهنيّ على الشيء قد يكون على أنه في الذهن، وعلى أنه في العين، ومطلقاً، ومن المحمول ذهنيٌّ فحسبُ، ومنه ذهنيٌّ

يطابق العينيّ، والإمكان ونحوُه من قبيل الأوّل، ثم الإمكان ينضاف بالضرورة ولا إضافة إلى المعدوم.

سؤال: أي أنّه إذا عُقِل ينضاف الإمكان إليه؟

جواب: ما عُقل من الصورة نفسها لا يقع، وما يقع فهو غيرها. ثم إن كان الإمكان لكلّ واحد واحدٍ من جزئيّ نوعٍ، فكيف امتازت في العدم حتى يمتاز إمكان كلّ واحد. وأيُّ عدد يفرض إمكانه موجوداً يبقى على الإمكان المعقولُ وراءه.

سؤال: هو إمكان النوع؟

جواب: النوع الكّليّ ممتنع الوقوع، وأيضاً يلزم أن يكون الشخصيّ نفسه غير ممكن قبل الوقوع.

سؤال: نُقل عن المعلّم أنّه يجوز أن يكون للإمكان إمكان إلى غير النهاية؟

جواب: يُبيّن هذا كلامي، إذ من قواعده أُخذ أنّ العدد المترتّب الموجود معاً يجب فيه النهاية، فلا يعنى به ذلك وعلمتَ أن للذهن تمكّن الحكم إلى غير النهاية.

سؤال: فما يعنى بالإمكان ههنا.

جواب: الإمكان القريب وهو الاستعداد التامّ الذي يستدعي وجود الشيء بتّة؛ إذ الفاعل إذا لم يتغيّر فالحادث حدوثه إنما يكون لاستعداد المادّة كما سيأتي [فيما] بعد.

سؤال: إنّما أراد به الإمكان الحقيقيّ لتعليله بأن يقال الشيء غير مقدور لأنّه غير ممكن ولا شّك يراد به الحقيقيّ؟

جواب: البرهان صدّنا عن ذلك. والتأثير فيما لم يستعدّ أيضاً غير مقدور كإيجاد الحيوة في مادة الحجر، فيجوز التعليل على هذا الطريق أيضاً، والاستعداد من الكيف ونحوه، إذ لا نعني به الاّ مزاجاً أَوْ حالاً يستدعي وجوده وجود شيء

بعده، فيقال ذلك استعداد هذا ههنا.

سؤال: والاستعدادات أيضاً تترتّب إلى غير النهاية؟

جواب: الاستعدادات القريبة لا تبقى مجتمعة إلى غير النهاية فلا يضرّ والحوادث متسلسلة كما سبق.

التلويح الخامس
في كيفية إبداع الواحد من جميع الوجوه

(٣٩) **وإن الواجب** لم يصدر عنه شيء بعد إن لم يكن، والواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد، فإنه إن صدر عنه شيئان جيم وباء، فاقتضاء الجيمية ليس نفس اقتضاء البائيّة، فيكونَ هي هي، فلا بدّ من جهتين في ذاته للاقتضائين المختلفين.

وأيضاً، اقتضاء الجيم يُحمَل عليه لا اقتضاء الباء بالإيجاب المعدول وإن كان المحمول أعمّ، فيكون بجهة واحدة اقتضى باء وما اقتضاها هذا محال، فلا بدّ لفاعل شيئين من حيثيّتين ثم إن كانتا من لوازمه عاد الكلام إليهما حتى ينتهي إلى حيثيّتين في ذاته فيتركّب، فمبدأ الاثنين بلا واسطةٍ منقسم فواجب الوجود لا يصدر عنه إلاّ واحد.

دعامة عرشية ـ [في قاعدة إمكان الأشرف]

(٤٠) إذا كان الممكن منه الأخسّ والأشرف، ووُجد الأخسّ، فيدلّ على أنّ الأشرف وُجد أوّلاً لأنه إذا اقتضى واجب الوجود الأخسّ فلا جهة أخرى فيه تقتضي الأشرف، والممكن لا يلزم من فرض وجوده محال، فإذا انفرض الممكن الأشرف فيستدعي أن يقتضيه جهة تُعقَل أشرفَ من واجب الوجود، وهو محال.

والشيئان أحدهما يقتضي الأشرف لذاته دون اعتبار شرطٍ آخر والثاني الاخسّ فلا شّك أن الأوّل أتمّ، وقد وُجد الأجسام والمادّيات، والماهيّة المجرّدة عن المادّة غير ممتنعة وإلاّ ما أمكن «النفس» فما وُجدت والمتجرّد بالكلّيّة أشرف منها فيجب لما قلنا.

فائدةٌ: عليك بها فإنّ لها عمقاً عظيماً واستعملها في بقاء النفس فإنّه غير ممتنع وهو الأشرف، والأفلاك تتحرّك لأمر علويٍّ لا لما تحتها، ويجب الأشرف. والسعادة والخير ممكن فوق الشقاوة والشرّ فيجب، فإذا تبيّن إمكان ما أنت بسبيله وشرفُه، فيكون قد وجب.

ثم علمتَ أنّ النفوس كثيرة، وواجب الوجود واحد، والجسم لا يوجدها، ولا بعضُها بعضاً إذ لا أَوْلوية في طبيعة نوع أن يوجِد بعضُ أشخاصه المتساوية بعضاً من العكس، فهي إذن من مجرّد ممّا ذكرناه.

فصل ـ [في أمور تطّرد فيها قاعدة الإمكان الأشرف]

(٤١) والإمكان الأشرف طريقته إنما تطّرد في أمورٍ تُلحَظ نفسُ ماهيتّها ولا يوجب عدمها أمرٌ آخر، بخلاف ما يقع تحت الحركات والأمزجةِ والأسبابِ المختلفةِ، فقد يصير الممكن فيها ممتنعاً باعتبار أمرٍ اتّفاقي، ومثل هذا لا يوجد في ماهيّات معقولة هي فوق الحركات والاتفاقات، فإنّ ماهياتها إن أمكنت من حيث هي هي لا تمنعها خارجيّات دونها.

وإذا لم يجتمع الإمكان الأشرف مع الأخسّ، فيجب الأشرف ويمتنع الأخسّ بما قلنا، وألاّ ينتهي فرضه إلى جهةٍ أشرف من واجب الوجود.

فصل ـ [في أنّه لا تعطيل في فعل المبدأ الأول]

(٤٢) وواجب الوجود لا يصدر عنه شيء بعد أن لم يكن، فإنه إن كان المرجّح هو نفسه، أو على ما أخذ من صفاته وهو دائمٌ، فيجب دوام الترجيح ودوام وجود المعلول.

وإن لم يفعل ثم فعل، فلا بدّ من حدوثِ ما ينبغي، في فعله أو عدمِ ما لا ينبغي ويعود الكلام إليه ولا يقف، فواجب الوجود لا تسنح له ارادة.

وحال كلّ ما يتجدّد، حال ما لأجله التجدّدُ في استدعاء مرجّحٍ حادثٍ.

وليس قبل جميع الوجود وقت يتوقّف عليه الفعل.

ولا يمتاز في العدم البحت حالٌ يكون الأولى به أن يصدر عنه شيء، أو بالشيء أن يحصل عنه؛ فلو حصل منه شيء بعد أن لم يكن لَتغيّر ذاته ولتسلسل الحوادث فيها إلى غير نهاية وهو محال ففعله دائم.

سؤال: يلزم أن يكون الحوادث غير متناهية وذلك محال، لأنّ كلّ واحد مسبوق بالعدم فيكون الكلّ مسبوق بالعدم، وأيضاً كلّ واحد دخل في الوجود فيكون الكلّ قد دخل، فانحصر في الوجود هذا محال.

جواب: هذا هو الحكم على الكلّ بما على كلّ واحدٍ، وذلك لا يجوز فإن كلّ ممكن غير الحركة جائزٌ وقوعه دفعةً، ولا كذلك الجميع، وكلّ واحد من الضدّين ممكن في محلّ والكلّ معاً غير ممكن مع أنّ المعدوم لا كلّ له.

سؤال: كلّ واحد يلزم أن يتوقّف على ما لا يتناهى وهذا محال.

جواب: التوقّف إنما يقال في أشياء ما حصلت بعدُ، يكون شيء منها بعد شيء، وما فرضتَه في المستقبل متوقّفاً على غيره فيه، وجدت بينك وبينها حوادث متناهية وهكذا دائماً، وإن عنيتَ بهذا التوقّف أنّ الواحد لا يوجَد إلاّ بعد ما لا يتناهى فذلك نفس محلّ النزاع.

سؤال: كلّ آنٍ حاضر فهو آخر ما مضى فهو نهايته؟

جواب: الكلام في بدايته، «فالأبدُ» أيضاً يؤخذ «الآن» مبدأه ولا نهاية له من الجانب الآخر.

سؤال: نأخذ جميع الحركات الماضية ونجمعها ونزيد عليها من المستقبل سنةً، فمعها أكثر من المأخوذ دونها فيتناهى الناقص، وما زاد على المتناهي بمتناهٍ فهو متناهٍ.

جواب: فرضُ الحركات المتعاقبة معاً محال، ولم يلزم النهاية لاستحالة الجمع فكيف يُفرَض الممتنع ليمتنع بوجوده ما أمكن لعدمه الواجب؟

سؤال: فيما ذكرتم إثبات المساواة بين الباريء والخلق، لأنه كما يلزم من رفع

العلّة رفع المعلول، يلزم ارتفاع المعلول ارتفاع العلّة؟

جواب: ليس هذا اللزومُ وذاك على وتيرةٍ واحدةٍ، فإنّ المثلّث يُوجَب بارتفاعه في نفسه ارتفاعُ الزوايا دون العكس، بل ويلزم من تسليم ارتفاع زواياه أن يكون المثلّث قد ارتّفع أوّلاً لزوم استدلاليّاً، وهكذا في جميع العلل الكاملة والمعلولات.

سؤال: كلّ واحد من النفوس الناطقة حادث في وقتٍ، إذ يتعلّق حدوثها بحدوث البدن فالكلّ من المفارقات منها يكون حادثاً إذ هو معلول الآحاد؟

جواب: بلى، كلّ آحادٍ لها مجموع متناهٍ أو غير متناهٍ فبحدوث كلّ جزء آخر، يحدث مجموع آخر، ذلك المجموع من حيث هو هو لم يكن قبله، وكلّ وقتٍ يحصل من مفارقات النفوس شيء يحدث باعتباره مجموع آخر، إذ المجموع الذي أخذ فيه الشيء غير المجموع الذي لم يؤخذ فيه ذلك الشيء، فكلّ وقت لها مجموع آخر حادث، بل وحال مجموع الموجودات ـ قديمها مأخوذاً مع حادثها ـ أيضاً كذا، فلا يدلّ هذا في النفوس على نهايتها، ولا على سبق العدم على نوعها، هذا أقوى خيالات المعطّلة الذين عطّلوا الله تعالى عن جوده.

المورد الثاني

في المبادئ والغايات والترتيب وحال جميع الموجودات

(وفيه ثلاث تلويحات)

التلويح الأوّل
في الغَنيّ

(٤٣) «**الغنيّ المطلق**» هو الذي لا يتعلّق بغيره ذاته ولا حال لذاته هي كمال له.

و«الفقير» ما يتوقّف منه على غيره ما ذكرنا.

و«الملك» الحقّ هو الذي ليس ذاته لشيءٍ وله ذات كلّ شيءٍ.

و«الغنيّ المطلق» لا يستغنى عنه شيء، إذ لو استغنى عنه شيء فكان فقره إلى الغنيّ أولى له، وعند الاستغناء انتفى ما هو الأولى عن الغنيّ، فهو عديم كمال فافتقر، فلو كان في الوجود غنيّ لا يستغني عنه غيره، وهذا تنبيه على وحدانيّة الواجب وجوده.

فصل - [١- في جوده تعالى ونفي الغرض عن فعله]

(٤٤) و«الجود» إفادةُ ما ينبغي لا لعِوَضٍ، فالمعطي لما لا ينبغي ليس بجواد، أو لما ينبغي طالباً لعوض، كان عيناً أو مدحاً أو ثناءً أو إظهارَ قدرةٍ وفضيلة، أو

تخلّصاً عن قبيح، فكلّ هذا عوضٌ، وهو بما افاد اشترى شيئاً فمعاملٌ لا «جواد»، ومن كان الأولى به فعل مّا، فإذا لم يفعل لا يحصل الأولى به، فهو عادم الكمال المطلق لافتقاره في كمالٍ إلى غيره.

وكلّ مريدٍ ومختارٍ لا بدّ وأن يختار أحد طرفي النقيض، إذ لو استوى الطرفان بالنسبة إليه، فالنسبة إمكانيّة لا تقع، والشيء إذا كان خيراً في نفسه مثلاً، ما لم يكن أحبّ وأولى بالإضافة إلى المختار، لا يختاره، فالوجود البحت الواجبيّ لا كمال خارج عنه فكلّ ما يتحقّق كمالاً فبتحقّقه يتحقّق وهو الحقّ الذي وراء كلّ كاملٍ، لا يفتقر إلى شيءٍ، والعالي لا غرض له في السافل.

سؤال: يجوز أن يخصِّص الإرادة أحد الطرفين لا لغرض، بل لأنّ من خاصَيتّها ترجيح أحد المثلين؟

جواب: لو اختارت الآخر أيضاً حصلت خاصّيّتها، فالنسبة إمكانيّة والمرجّح الإراديّ دائر معه السؤال، وإن كان من خاصّيّة الإرادة المطلقة تعيين هذا الطرف مثلاً بعينه، فكان كلّ إرادة يجب فيها ذلك وليس كذا، فلا بدّ لكلّ إرادة من داعٍ مرجّحٍ.

التلويح الثاني
في التحريكات السمائيّة

(٤٥) وإذ هي ارادية، فلو كان غرضها شيئاً واقعاً ما طلبتْه بالحركة، أو مطلوباً جزئيّاً دفعيّاً لوقفتْ إن نالت، أو قنطت إن كان ممّا لا ينال، فلها مطلب كلّيّ فتلزمها إرادة كلّية موجبة لعلم كلّيّ دالّ على نفس ناطقة مبطلة لجحود مَن جحدها فيها.

وعلمتَ أيضاً انّ الإرادات الجزئيّة مضبوطة بإرادة كلّيّة فيما سلف.

ومن **طريق آخر**: مطلبها بالإرادة إما أمر حيوانيّ، أو عقليّ، والمطلب الحيوانيّ جلبُ نافعٍ حيوانيّ أو دفع ضارٍّ.

وإذ ليست تنخرق ولا تتكوّن وتنفسد فلا نموّ لها ولا مُضادّ لها مزاحماً لمكانها، فلا جلب ولا انتقام فلا شهوة ولا غضب، فهو إذن أمر كلّيّ عقليّ موجب لنفسٍ ناطقةٍ.

وليس غرضها مظنوناً من الثناء والمدح، فإنّ الحركات عرفتَ إنّها واجبة الدوام فتبتني على أمر واجب الدوام وليس المظنون كذا.

وأيضاً، هو الامكان الأشرف وهذا العالم أحقر بالنسبة إلى أجرامها الشريفة من أن تتحرّك لأجله، والحدس الصحيح يحكم بهذا دون حاجة إلى برهان.

فحركتها لمعشوقٍ إمّا لتنال ذاته، أو لتشبّهٍ بصفةٍ دفعيّة وكان على ما سبق من الوقفة، أو تشبّه تجدّديّ وهو متعيّن، فالمتشبَّه به ليس بجرم فلكيّ وإلاّ كانت الحركات متفقة وليست.

وظُنّ إنّ الاختلاف لعدم مطاوعة الطبيعة، ولا يستقيم، فإنّ الأوضاع للجرم الكريّ متساوية من حيث اقتضاء الطبيعة والميل المستدير.

وليس المتشبَّهَ به نفسُ فلكّيٍ وإلاّ لتشابهت التحريكات، ولا شيءٌ واحدٌ وإلاّ اتّفقت، فالمتشبَّه به ذوات عقليّة هي بالفعل من جميع الوجود، فتشبّهت بها النفوس حتى لا يبقى شيء فيها بالقوة.

[كيفية انبعاث الحركة عمّا تناله النفس الفلكية من العقل]

والنفس إذا كانت في أمرٍ تتبعها هيئات بدنيّة، كالمُناجي مع نفسه بأمور عقليّة يتحرّك شيء من أعضائه بحسب ما يتفكّر فيه، وجرم الفلك فيه جميع الأشياء بالفعل إلاّ الأوضاع، إذ لو دامت على واحد لدامت الباقيات على القوة العدميّة، ولا يمكنها الجمع معاً بين الكلّ والقاصر عن استبقاء ذات يسعى في استبقاء نوعها فأخرجت إلى الفعل بما أمكنها من التعاقب الراشح للخير تبعاً على السافل متأصّلاً في قصدها التشبّهُ بالعالي، الدائم في تدويم نوع ما لم تدُم ذاته بل تتجدّد.

وظُنّ إنّ المتشبّه به واحد ولكن جمعت الأفلاك بين مطلبها ونفع السافل عند استواء الجهات، كالشخص الخيّر المختار لطريقٍ ساواه غيره، لِنفعِ شخصٍ

محتاجٍ؛ ولم يُعلم إنه لو صحّ هذا لصحّ أن يقال ساوى الحركةُ السكونَ، فاختارتها لنفع السافل، فلمّا لم تُطلب بالأصل لتعاليها عليه لم يُطلب بتخصيص الجهة، مع إنّه يجوز أن يكون لكلّ واحدٍ معشوقٌ خاصّ وللجميع معشوق واحدٌ وهو الأوّل، فتشابهت الحركات في دوريّتها لمطلبٍ متشابهٍ، واختلفت في الجهات لاختلاف معشوقاتٍ خاصّةٍ، ونسبة كلّ عقل معشوقٍ إلى نفس فلكيّة كنسبة العقل الفعّال إلى نفوسنا، والمعلول لا ينال الروح من محض الوجود الحقّ إلاّ بتوسّط علّته.

وما ينال الأفلاك من اللذّات الوافرة والأنوار اللامعة من الأفق الأعلى كثيراً مّا يقع **للمكاشفين من أهل المواجيد وقد حكاها الحكيمان العظيمان المعلّم «ارسطاطاليس» والإلَهي أفلاطون** عن نفسيهما، وكذا مَن قبلهما، وبعض الاسلاميّين أيضاً من الصوفيّة.

فالعقول بعدد الحركات.

وقد أخذ المتأخّرون بعدد كليّات الأفلاكُ.

وكان على رأي **المعلّم الأوّل** بعدد حركات الكرات كلّها كلّيّة وجزئيّة، وهو الإمكان الأشرف. وكانت أكثر من خمسين، إذ كلّ كرة نوعٌ ـ كما ستعرف ـ فلها حركة تخالف حركة غيرها، وهي مباينة الذات عن غيرها فتستحقّ، نفساً وحينئذٍ لا بدّ لها من عقلٍ، وقد لوّحنا إلى شيء من هذا في كتاب قوانين الحقائق المسمّى **بالمشارع والمطارحات**.

فصل ـ [طريق آخر في إثبات العقول]

(٤٦) وكلّ قوة في جسمٍ هي متناهية أي يجب أن يتناهى فعلها.

واعلم إنّ أقوى الراميين يتفاوت بشدّة أو مدّة أو عِدّة، وإن استوى مع الآخر في أمرين فيتفاوت بالآخر، فالقوة في الجسم اللازم انقسامها لانقسام حاملها: إذا فُرض إنّ جزءها يحرّك كلّ الحامل مثلاً، وكلّها كلّه معاً، أَو إنّ القوّتين في شيئين متساويين بحركاتهما في مسافةٍ عن مبدأٍ محدودٍ واستويا في شدّة وعدّة، فلا بدّ من تفاوتٍ وإلاّ قوي الجزء على ما قوي عليه الكلّ، هذا محال.

والتفاوت إذا لم يقع في الوسط فإنما يقع في الطرف، فتنقطع تحريكات الجزء متناهية وتزيد عليها تحريكات الكلّ على نسبتهما، وما زاد على المتناهي بما يناسبه فهو متناهٍ، وهذا يخصّ بما انطبع من القوى.

(٤٧) **طريق آخر عرشي** - وهو يعمّ جميع النفوس -: إنّ القوة الغير المتناهية لو حرّكت جسماً بكلّ قوتها مسافةً وحرّكتْه أخرى متناهية، فلِزمانيهما بالضرورة نسبةٌ، وكذا لسرعة حركتيهما وبُطؤهما، فنسبة تأثير الغير المتناهي أثرُه إلى تأثير المتناهي أثره، نسبة متناهي التأثير إلى متناهيه، هذا محال.

وقد ذُكر من طريق آخر وهو أن نفرض قوة تحرك جسماً عن مبدأ مفروضٍ حركاتٍ لا تتناهى، ويتحرّك بمثل تلك القوة أصغر منه وأقلّ ميلاً عن ذلك المبدأ، مساوياً مع تحريكات الأوّل شدّة وعدّة، فتتفاوت المدّة بالضرورة، وإلاّ استوت القدرة على قليل التمانع وكثيره، هذا محال، فكان التفاوت في الأخير على ما سبق.

سؤال: للمنازع أن يقول: القوة غير متناهية، والممانعة الجرميّة تفاوتُها لدن قوة غير متناهية، وجودها وعدمها سواء.

جواب: صحيح ما قلتَ والحجة من **كَيِّس المتأخّرين**.

سؤال: أما قيل: إنّ النفس التي لنا غير متناهية القوة؟

جواب: لا تطوّلْ: فإنّ البرهان هو المعتمد، وإذا انتهى قوى النفوس الفلكية التي هي أقوى منّا فكيف حال قوانا وهي أيضاً ناطقة؟ إنما قيل في الاقناعيات أنّ أنفسنا تقدر على التعقّل الغير المتناهي، وإذا علمتَ انّ لها ذلك من العقل الفعّال فهي القابلة، والقبول للآثار الغير المتناهية، والتأثير على سبيل التوسّط يتصوّر في الجسم وقواه، وإنّما الممتنع هو التأثير الإستقلالي.

ثم لو كان لأنفسنا القوة الغير المتناهية ما منعها مادّة القوى الهيولانية عن عالمها، وما انحصر تأثيرها في بدنٍ واحد، وما انحبست في علاقة الأجرام، فإذا كانت الحركات غير متناهية والمباشر للحركة متناهٍ، فلا بدّ وإن يكون المبدأ العقليّ

لا يزال يفيض منه الأنوار والتشريقات على النفس الفلكية ـ ممدّاً لها بالقوة الغير المتناهية ـ والنور والشوق والعشق الغير المتناهي فيضه منه عليها.

نكتة عرشيّة: هو إنّ واجب الوجود لا يتصوّر من طريق آخر أن يحرّك جسماً مباشرةً، فإنّ الجسم ما من حركةٍ فيه إلاّ ويتصوّر أسرع منها عن قوة أشدّ، فإذا حرّكة الواجب وجوده بكلّ قوته فتقع حركة لا يتصور أسرع منها، وهو محال، مع إنه ذات لم تتغير فلم يكن علّة لأمرٍ واجب التغير.

التلويح الثالث
في ترتيب الوجود

(٤٨) والجسم مركّب من الهيولى والصورة، وجعلُ كلٍّ غير جعل الآخر، فلا بدّ له من فاعل فيه اثنينيّة، وليس واجب الوجود كذا فلا يصدر عنه الجسم؛ فأوّل صادر منه تعالى جوهر عقليّ سمّاه بعض الحكماء «عقل الكلّ» و«العنصر الأوّل» وهو أعظم ما يمكن وأشرفه.

واعلم أنّ الجسم لا يصدر عنه الجسم؛ فإنّ الحاوي لو كان علّة للمحويّ فمع وجوبه إمكان المحويّ، إذ وجوبه بعد وجوبه ووجوده فيكون مع وجوده إمكان كون المحويّ المقارنُ لإمكان لا كونه فيقارنه إمكان الخلأ؛ وقيل إنه ممتنع بذاته، هذا محال.

ولا يمكن أن يوجِد المحوىّ الحاويّ الذي هو أشرف منه وأعظم، فالجسم شيء لا يوجِد شيئاً.

سؤال: إذا وضعتَ أنّ الحاوي والغير الجسم الذي هو علّة المحويّ المتقدِّم عليه معاً، وما مع القبل قبل، فيلزم من تقدّم الحاوي عليه الخلاء.

جواب: ما مع القبل بالزمان ونحوه قبل، أمّا ما مع القبل بالذات ليس قبلاً بالذات، كما أنّ ما مع العلّة ليس بعلّةٍ وليس هذا التقدّم إلاّ بالعلّيّة.

سؤال: الحاوي والمحوي كلاهما ممكنان، فيمكن خلوّ مكانيهما، فيلزم الخلاء؟

جواب: أمّا العدم فليس بخلاء، وإنما ينفرض الخلاء إذا وُجِد المحيط لا حشو له، إذ الخلاء أبعاد.

والنفس ـ أيضاً ـ ليست بعلّة للجسم، فإنها إن أوجدت بغير توسّط جسمها فليست بنفس بل هي عقل وكيف موجد الجوهر يحتبس عن التجرّد المحض لعلاقة عرضية؟ وبتوسّط الجسم يلزم ما قلنا من إمكان الخلاء.

طريق آخر ـ [في أنّ الجسم لا يكون علة للجسم]

(٤٩) الهيولى لا فعل لها فيلزم في ذاتها جهتا قبولٍ وفعلٍ، والصور دون الهيولى لا تفعل بل تختصّ آثارها بما لها معها علاقة وضعية، فلا بدّ من توسّط الهيولى، والجسم إذا لم يوجَد أصلاً، فلا علاقة وضعيّة بين الصورة وبينه، ولا وساطة للهيولى، ولا نسبة إلى ما ليس، بل الأجسام تُعِدُّ، والجسم والنفس يجوز أن يكونا علّةً لعرض مّا، فإنّ اللازم للماهيّة أمر مّا، فإذا امتنع رفعه في الوهم فليس بعلّة خارجة وإلاّ أمكن فارتفع وهمًا، فإذا جاز أن تكون علّة لعرض مّا فيثبت جواز العلّيّة، بلى الأمور التي هي كالمقدار، وما ذكروه ممّا لا يترجّح بالجسميّة ولا يستوي فيها لها علل من خارج كالعقول.

[العقول ليست من نوع واحد]

وقال المحصّلون: أنّ جزئيات نوع واحد لا يوجِد بعضها بعضاً لعدم الأولوية بحسب الماهيّة، فالعقول ليست من نوع واحد.

وأيضاً: لو اتّفقت أنواعها لاتفقت آثارها من الأفلاك، فإنّ النوع الواحد لا يلزمه المختلفات المتقابلة، والأفلاك ما اختلفت امكنَتُها وحركاتها إلاّ وهي مختلفة الطبائع، وكلّها بالنسبة إلى العالم العنصريّ «طبيعة خامسة».

وأيضاً، لو كانت الأفلاك من نوع وأمكن الانقسام على النوع، فيمكن على الشخص فتتخرّق وليس كذا، ولو أنّها من نوع واحد لاتّصل بعضها ببعض وليس كذا.

وأيضاً: لو كانت العقول والأفلاك من نوع واحد لكان الامتياز بالعوارض، وقبل الاتفاقات والحركات لا أولوية للحوق بعض ببعضٍ، إذ الطبيعة النوعيّة يستوي استحقاق أشخاصها بحسبها لما يمكن من العوارض.

فصل ـ [في كيفية صدور الكثرة]

(٥٠) وإذ لا يصدر من الحق الأوّل إلاّ واحد، فإن استمرّت السلسلة في اقتضاء الواحد فلا ينتهي إلى الجسم أبداً ولا يوجَد، ولكنّه قد وُجد، فلا بدّ من وقوع كثرة في واحد.

وأيضاً، لا تصدر الأفلاك كلّها عن عقل واحد أخير، إذ علمتَ أنّ لكلٍّ معشوقاً آخر، فليس إلاّ أن المعلول الأوّل له إمكان من نفسه ووجوب بالأوّل وتعقّل الاعتبارين وذاته.

قالوا: فلِتعقّله لوجوب وجوده ونسبته إلى الحق الأوّل، يقتضي أمراً أشرف وهو عقل آخر، ولتعقّله لامكانه من نفسه أمراً آخر هو جرم الفلك الأقصى، إذ الامكان أخسّ الجهات فيناسب المادّة، وباعتبار تعقله لماهيته نفس هذا الفلك المحرِّك له بالشوق إليه، ثمّ من الثاني بالتثليث أيضاً عقل، وفلك الثوابت، ونفسه، ومن الثالث عقل، وفلك زحل، ونفسه، وهكذا إلى أن يتمّ الأفلاك التسعة.

والعقل العاشر باعتبار تعقّل إمكانه يحصل من الهيولى المشتركة التي للعناصر، وباعتبار تعقّل ماهيته صورها، وباعتبار نسبة الوجوب إلى المبدأ نفوسنا الناطقة وإنما ذلك بمعاونة الاجرام السمائية المناسبة باشتراك كلها في حركة دورية لاشتراك العنصريات في مادّة واحدة الموجبة بذلك الاشتراك في الحركة استعداد عود هذه إلى شيءٍ واحدٍ، وبافتراق حركاتها افتراق أنواع الصور.

وهذا العاشر لكثرة المعاونات والموجبات للاستعدادات المختلفة يكثر فيضه، والفاعل بجهةٍ واحدة يجوز أن يفعل مختلفات لاختلاف القوابل.

واعتبر بشعاع الشمس الواقع على الزجاجات المختلفة اللون.

والعقل لا يتغيّر أصلاً، إذ يتسلسل تغيّره إلى أن ينتهي إلى تغيّر واجب الوجود

لأنه ليس في عالم الحركات بل يحصل منه ما لم يحصل للقوابل المختلفة الاستعداد بالحركات السمائية.

سؤال: فلمَ لا يصدر عن واجب الوجود كذا؟

جواب: أمّا ما يُفرَض عند اقتضاء جميع الوجود لا امكان لفرضِ حركة واستعداد مادّة، فلا يصدر عنه إلاّ واحد، ويكون أزليّاً وإلاّ يوجب التغيّر، إذ ليس ممّا يتغيّر حينئذ إلاّ الفاعل، وبعد هذا الترتيب إن حصل عنه شيء آخر في الموادّ، فينقسم فعله إلى ما من شأنه أن يكون في المادّة وإلى ما من شأنه أن لا يكون وهو المعلول الأوّل، فيتكثّر، تعالى عن ذلك.

ثمّ إذا أثّر في المادّة، ومعلولاتُه من العقول أفادت وجودَ العقول والنفوس والاجرام الفلكية، فصار معلول معلوله أشرف من معلوله بلا واسطة هذا محال.

سؤال: كيف فعل العقل بتوسّط الامكان، وقلتَ الامكان لا يزيد في الأعيان على ذات الممكن؟ وأيضًا لو حصل منه للإمكان شيء فكان كلّ ممكن كذا حتى الأجسام؟ ثمّ الامكان عدميّ كيف يُفعل بتوسّطه؟

جواب: اهملتَ في السؤالين الأولين: قولنا أنّ العقل بتوسّط ما يعقل من امكانه يَفعل شيئًا، و«الامكان» في التعقّل زائد؛ وإذا فعل شيء لخصوصيّته بتوسّط أمرٍ شيئاً لا يلزم أن يشاركه عديمُ تلك الخصوصيّة فيه، والتعقّل للامكان ليس بعدميّ.

[معاني العدمي]

والعدميّ قد يقال:

[١] لما يدخل في مفهومه العدم، كالسكون.

[٢] وعلى ما لا يتصوّر بقاؤه كالحركة.

[٣] ولصفة وجودية موضوعها باعتبارها يوجب لا استحقاقَ وجوده كالامكان.

[٤] وعلى ما ليس له إلاّ جهة القبول والقوة، ولا يخرج إلى بالفعل إلاّ بأمور زائدة عليه من الصور وغيرها كالهيولى ويقرب هذا الاعتبار مما قبله.

وليس هذا العدميّ هو المعدوم؛ فههنا اعتبارات لا تخلّ بما نحن فيه.

فصل ـ [في فتح باب التكثر]

(٥١) وإذا تثنّى الوجود فقد انفتح باب التكثّر ولو لم يكن إلا ذاتاهما، إذ يجوز أن يحصل من الأفراد غير ما يحصل من مجموعهما وكذا في النزول.

فصل ـ [في مراتب الكثرة بدواً وعوداً]

(٥٢) ولا تحصل الهيولى بعد إن لم تكن، إذ لا بدّ للحادث من استعداد قابل؛ إذ سبق أنّ الفاعل لا يتغيّر وهو الامكان الذي أشار إليه **المعلّم الأوّل** فإنّه يتقدّم على الحادث لا غير ـ كما سبق ـ فالهيولى لا قابل لها فلا تحصل حادثةً.

ويحصل عن هذا العقل الأخير المواليد كلّها وصور العناصر والمواليدِ، والنفوس الأرضيّة والنفس الناطقة. وعند الناطقة وقف ترتيب العقليّات.

وابتدأ الوجود من الأشرف فالأشرف: فالعقل، ثم النفس للفلك والأجرام السماوية، ثم الهيولى المشتركة وهي الاخسّ، ثم عاد من الاخسّ فالأخسّ، إلى الأشرف فالأشرف من الاعتدال المزاجيّ، والنفس النباتية، ثم النفس الحيوانية، ثم النفس الناطقة، ومنها القوة الهيولانية، وهلمّ إلى العقل المستفاد والنفس القدسيّة، وكأنّ النفس باعتبار جهتي وجوبها وإمكانها حصل لها وجه إلى القدس، وآخر إلى الحسّ: الأشرف للأشرف والأخسّ للأخسّ.

[في كيفية صدور الكثر]

سؤال: المعلول الأوّل ليس فيه إلاّ جهتا تعقّل وجوب وإمكان، والجرمُ الفلكيّ له هيولى وصورة جرميّة، وأخرى نوعيّة، وفلك الثوابت فيه من الكواكب ما فيه، ولكل خصوصية غير ما للآخر، فلا يفي بها الجهات الثلاثة والكواكب الكثيرة في كل فلكٍ لكلٍّ طبيعةٌ وحركة غير ما للآخر.

جواب: صحيح أنّ هذه الثلاثة لا تفي بهذه، إلاّ أنّ الحكماء المتأخّرين لمّا بيّنوا إمكان التكثّر أخذوا على أقلّ ما يمكن وهو عشرة، غير جازمين بامتناع أكثر منها، ولم يفصّلوا كثيراً، بناء على مكنة التفصيل لمن له قريحة.

وقالوا: يجوز أن يكون للعقل ذاتيّات حقيقية لنوعيّته البسيطة ليس لكلّ واحد منها جعلٌ غير ما للآخر، كما للهيولى والصورة، فيوجبَ تكثّراً في ذات مبدعه ـ تعالى وتقدّس ـ وتعقلها مفصّلة وإن كانت في الأعيان شيئاً واحدًا كما أعطاك القسطاس الأوّل ضابطه، ولهذا قال **مبرّز المتأخّرين**[1]: ولأنه معلول فلا مانع عن أن يتقوّم بمختلفاتٍ فيما يعقل من التفصيل لواحدٍ واحدٍ يوجب أشياء أخرى.

سؤال: فيجوز أن يوجَد الكلّ من غير واسطة؟

جواب: لكلّ فلك معشوق ـ كما عرفتَ ـ ولا يعشق ما لا تعلّق له معه بالعلّيّة، فلا بدّ من الترتيب، والحقّ ما أشار إليه **المعلّم الأوّل** من كثرتها.

[مُثُل أفلاطون]

وكان عند كثير من المتقدّمين لكلّ نوع من الأنواع الجرميّة مثال وصورة قائمة لا في مادّة هي جوهر عقليّ يطابق المعنى المعقول من الحقيقة.

وربما احتجّوا بالامكان الأشرف.

وقالوا: هذه الأنواع أصنامها وهي رشم منها وظلالها، والحقائق الأصليّة هي تلك، وهذه مُثُل افلاطون.

وباتّفاقهم للعقول كثرة وافرة.

فصل ـ [في جسم الكل ونفس الكل وعقل الكل]

(٥٣) ولا يلزم من قولنا أن كلّ اختلاف فهو عن اختلاف، أن يكون عن كلّ اختلاف اختلاف، حتى يذهب الفيض إلى غير النهاية، ولا عكس للموجب الكلّيّ موجبًا كلّيّاً.

---

(١) هو الرئيس أبو علي سينا.

وكأن الحكماء أخذوا العالم حيواناً واحداً سمّوا جسمه «جسم الكلّ» له نفس واحدة ناطقة هي مجموع النفوس، وعقل واحد هو مجموع العقول، وسمّوا مجموع النفوس «نفس الكلّ» ومجموع العقول «عقل الكلّ».

وأكثرهم خصّ العالم بالسماء غير ملتفت إلى الكائن الفاسد.

وربما عنوا بـ «كلٍّ» كلّ من الثلاثة: الجرم الأعلى ونفسه وعقله.

المورد الثالث

في كلام في التجرّد عن المادّة والإدراك والعناية والقضاء والقدر والسعادة

(وفيه فصول)

(٥٤) الفصل الأوّل في الإدراك والتجرد

إن بعض الناس ظنّ أن إدراك المدرك شيئاً هو أن يصير هو هوَ.

وآخرون ظنّوا أنّ إدراك النفس هو اتّحادها بالعقل الفعّال.

وقد علمتَ فيما سبق أنّ شيئين لا يصيران شيئاً واحداً إلاّ بامتزاج واتّصال، أو تركيب مجموعيّ، وذلك من خاصّيّة الأجسام، ثم إذا قلنا صار ج، ب، أَبَقِيَ ج وحصل ب فتعدّدا، أو بطل ج أو لم يحصل ب فلا اتّحاد. وغلطهم ممّا يقال: أنّ الماء صار هواءً، وإنّما ذلك يعنى به أنّ مادّة الماء صارت هواءً أي خلعت صورة المائيّة ولبست صورة الهوائيّة وهي مشتركة والنفس ليس فيها ذلك.

ثمّ إذ عقل النفس ج، أهي كما كانت قبلها؟ فلا اتّحاد ولا حصول، أو بطلت وحدث غيرها؟ فلا اتّحاد، أو يغيّر حال لها؟ وذلك ليس ببعيد؛ وليس باتحاد بل هو كسائر التغيّرات.

ثمّ إنّ الاتّصال بالعقل الفعّال صحيح؛ والاتحاد به يوجب إمّا تجزئة، أو الإحاطة بجميع العلوم عند العلم بشيء واحد وبيّن فساده.

وهذا الكلام نقله أفضل المتأخرين «**أبو علي ابن سينا**» عن **فرفوريوس** وشنّع عليه كثيراً على وجه لا يليق بفضلهما مع أنّه في «المبدأ والمعاد» وبعض الكتب غيرِهِ إدّعى اتّحاد النفس بالصورة المعقولة صريحاً، ثم علم بطلانه في الأخير، ففي الأوّل إن قلّده فذلك أقبح، وإن اقتضى نَظَرْهُ ذلك فليشنّع على نفسه أيضاً.

واعلم إنّ النفس يجوز أن تعلم الجزئيات على وجه كلّيّ مثل معرفتها لزيدٍ بأنّه «الطويل الأسود ابن شخص» كذا على جهةٍ لا تكون تلك الكليّات مجتمعة، في غيره ولكن مع ذلك مجموع تلك الكلّيّات نفس مفهومه لا يمنع وقوع الشركة فيه، وإن فُرض امتناع الشركة فيكون لمانعٍ غير المفهوم، هذا ليَكُنْ عندك ضابطاً.

حكاية ومنام

(٥٥) وكنتُ زماناً شديد الاشتغال كثير الفكر والرياضة وكان يصعب عليّ مسئلة العلم، وما ذكر في الكتب لم يتنقّح لي، فوقعتْ ليلةً من الليالي خلسةٌ في شبه نومٍ لي، فإذا أنا بلذّةٍ غاشيةٍ وبرقة لامعةٍ ونور شعشعاني، مع تمثّل شبح إنساني، فرأيته فإذا هو غياث النفوس وإمام الحكمة **المعلّم الأوّل** على هيئةٍ أعجبتني، وأُبَّهَةٍ أدهشتني، فتلقّاني بالترحيب والتسليم حتى زالت دهشتي وتبدّلت بالأنس وحشتي، فشكوتُ إليه من صعوبة هذه المسئلة.

فقال لي: ارجعْ إلى نفسك فتنحلّ لك.

فقلتُ: وكيف؟ فقال: إنّك مدرك لنفسك، فإدراكك لذاتك بذاتك أو غيرها، فيكون لك إذن قوّة أخرى أو ذات تدرك ذاتك، والكلام عائد، فظاهر استحالته، وإذا أدركتَ ذاتك بذاتك أ باعتبار أثرٍ لذاتك في ذاتك؟

فقلتُ: بلى.

قال: فإن لم يطابق الأثر ذاتك فليس صورتها فما أدركتَها.

فقلتُ: فالأثر صورة ذاتي.

قال: صورتك لنفسٍ مطلقةٍ أو متخصّصةٍ بصفات أُخرى؟ فاخترتُ الثاني.

فقال: كلّ صورة في النفس هي كلّيّة وإن تركبَّت أيضاً من كلياتٍ كثيرةٍ فهي لا

تمنع الشركة لنفسها؛ وإن فُرض منعُها تلك فلمانعٍ آخر. وأنتَ مدرك ذاتك وهي مانعة للشركة بذاتها، فليس هذا الإدراك بالصورة.

فقلتُ: أُدركُ مفهوم «أنا»، فقال: مفهوم «أنا» من حيث مفهوم أنا لا يمنع وقوع الشركة فيه وقد علمتَ أنّ الجزئيّ من حيث أنّه جزئي لا غيرُ كلّيٌّ و«هذا» و«أنا» و«نحن» و«هو» لها معانٍ معقولة كليّة من حيث مفهوماتها المجرّدة دون إشارةٍ جزئيّةٍ.

فقلتُ: فكيف إذن؟

قال: فلمّا لم يكن علمك بذاتك بقوةٍ غير ذاتك، فإنّك تعلم أنّك أنتَ المدرك لذاتك لا غيرُ، ولا بأثرٍ مطابق، ولا بأثرٍ غير مطابق، فذاتّك هي العقل والعاقل والمعقول.

فقلتُ: زِدني!

قال: ألستَ تدرك بدنك الذي تتصرف فيه إدراكًا مستمرّاً لا تغيب عنه؟

فقلتُ: بلى.

قال: ألِحصول صورةٍ شخصيّةٍ في ذاتك وقد عرفتَ استحالته؟

قلتُ: لا بل على أخذِ صفاتٍ كلّيّةٍ.

قال: وأنت تحرّكُ بدنك الخاصَّ وتعرفُه بدناً خاصّاً جزئيّاً وما أخذتَ من الصورة نفسه لا يمنع وقوع الشركة فيها، فليس إدراكك لها إدراكاً لبدنك الذي لا يُتصوّر أن يكون مفهومه لغيره؛ ثمّ أما قرأتَ في كتبنا أنّ النفس تتفكّر باستخدام المفكّرة، وهي تفصِّلُ وتُركّب الجزئيات وتُرتّب الحدود الوسطى؟ والمتخيّلة لا سبيل لها إلى الكليّات لإنّها جرميّة، فإن لم يكن للنفس اطّلاع على الجزئيات فكيف تُركّب مقدّماتها؟ وكيف تنزع الكليات من الجزئيات؟ وفي أيّ شيء تستعمل المفكّرة؟ وكيف تأخذ من الخيال؟ وماذا يفيدها تفصيل المتخيّلة؟ وكيف تستعدّ بالفكر للعلم بالنتيجة؟ ثمّ المتخيّلة جرميّة كيف تدرك نفسها والصورة المأخوذة عنها في النفس كليّة؟ وأنت تعلم متخيّلتك ووهمَك الشخصيتين الموجودتين ودريتَ أنّ الوهم ينكرهما.

قلتُ: فأرشدْني! جزاك الله عن زمرة العلم خيراً!

قال: وإذا دريتَ أنها تدرك لا بأثر مطابق ولا بصورة، فاعلم أنّ «التعقّل» هو حضور الشيْ للذات المجرّدة عن المادّة، وإن شئتَ قلتُ: عدم غيبته عنها، وهذا أتمّ لأنّه يعمّ إدراك الشيء لذاته ولغيره، إذ الشيء لا يحضر لنفسه ولكن لا يغيب عنها. أمّا النفس فهي مجرّدة غير غايبة عن ذاتها، فبقدر تجرّدها أدركتْ ذاتها وما غاب عنها إذا لم يكن لها استحضار عينه كالسماء والأرض ونحوهما فاستحضرت صورته، أمّا الجزئيّات ففي قُوى حاضرة لها، وإمّا الكليّات ففي ذاتها، إذ من المدركات كليّة لا تنطبع في اجرام، والمدرَك هو نفس الصورة الحاضرة لا ما خرج عن التصوّر. وإن قيل للخارج أنّه مدرَك فذلك بقصد ثانٍ، وذاتها غير غائب عن ذاتها، ولا بدنها جملةً مّا، ولا قوى مدركة لبدنها جملة مّا.

وكما أنّ الخيال غير غائب عنها فكذلك الصورة الخياليّة، فتدركها النفس لحضورها لا لتمثُّلها في ذات النفس، ولو كان تجرّدها أكثر لكان الإدراك لذاتها أكثر وأشدّ، ولو كان تسلّطها على البدن أشدّ كان حضور قواها وأجزائها لها أشدّ.

ثم قال لي: اعلم إنّ العلم كمال للوجود من حيث مفهومه ولا يوجب تكثّراً، فيجب للواجب وجوده، وأشار إلى ما ضبطناه في الضابط الجامع من قبلُ.

فواجب الوجود ذاته مجرّدة عن المادّة وهو الوجود البحت، والأشياء حاضرة له على إضافة مبدئيّةٍ تسلّطيّة، لأنّ الكلّ لازم ذاته، فلا تغيب عنه ذاته ولا لازم ذاته، وعدم غيبته عن ذاته ولوازمه مع التجرّد عن المادّة هو إدراكه كما قرّرناه في النفس، ورجع الحاصل في العلم كلّه إلى عدم غيبة الشيء عن المجرّد عن المادّة صورةً كانت أو غيرَها. والإضافة جائزة في حقّه وكذلك السلوب، ولا تخلّ بوحدانيّته، وتكثُّر اسمائه لهذه السلوب والاضافات ولا يعزب عن علمه إذن ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1]. ولو كان لنا على غير بدننا سلطنة، كما

(١) سورة سبأ، الآية: ٣.

على بدننا، لأدركناه كإدراك البدن ـ على ما سبق ـ من غير حاجة إلى صورةٍ.

فتبيّن من هذا أنّه بكلّ شيء محيط وأدرك اعداد الوجود، وذلك هو نفس الحضور له والتسلّط من غير صورة ومثال.

ثمّ قال لي: كفاك في العلم هذا؛ وارشدَني إلى أمور فرّقتُ بعضها في هذا الكتاب.

فقلتُ له: ما معنى «الاتّصال» و«الاتّحاد» للنفوس بعضها مع بعضٍ وبالعقل الفعّال؟

قال: أمّا ما دمتُم في عالمكم هذا فانتم محجوبون، وإذا فارقتموه كاملين فلكم الاتّحاد والاتّصال.

فقلتُ: كنّا نُنكر على طوائف من إِخوان التجريد والحكماء في اطلاق الاتّصال. فإنّه لا يكون إلاّ في الاجرام.

فقال: اعلم إنّك في ذهنك تعقلُ اتصالاً مطلقاً بين جسمين معقولين مجرّدين وتدرك أعضاء حيوان واحد معقولة مع اتّصال.

فقلتُ: بلى.

فقال: هل في ذهنك طرف معيّن وامتداد مشخّص؟

قلتُ: لا.

قال: إنما هو اتّصال عقليّ؛ فالنفوس أيضاً تَجِدُ بينها في العالم العلويّ اتّصالاً عقلياً لا جرمياً، واتّحاداً عقلياً ستعرفه بعد المفارقة.

ثمّ أخذ يُثني على أستاذه **افلاطون الإلهي** ثناءً تحيّرتُ فيه.

فقلتُ: وهل وصل من فلاسفة الإسلام إليه أحدٌ؟

فقال: لا. ولا إلى جزء من ألف جزء من رتبته.

ثمّ كنتُ اعدّ جماعة أعرفهم، فما التفت إليهم، ورجعتُ إلى **أبي يزيد البسطامي** و**أبي محمّد سهل ابن عبد الله التستري** وأمثالهما، فكأنّه استبشر وقال: أولئك هم الفلاسفة والحكماء حقّاً، ما وقفوا عند العلم الرسميّ بل جاوزوا إلى

العلم الحضوريّ الاتّصاليّ الشهوديّ، وما اشتغلوا بعلائق الهيولى فلهم ﴿لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[1] فتحرّكوا عمّا تحرّكنا ونطقوا بما نطقنا.

ثمّ فارقني وخلّفني أبكي على فراقه فوا لهفي على تلك الحالة.

فصل [٢] ـ [مناقشة على ما قيل: إن واجب الوجود يُعقَل فيَعقِل]

(٥٦) ومن قال: إن ما يُعقَل وله ذات مجرّدة عن المادّة قائمة بنفسها، فيَعقِل لأنّ ذاته مجرّدة كصورته، فلا يمتنع أن ترتسم صورة ما أدركه فيه ولا يمتنع أن يعقلها.

ثمّ قال: واجب الوجود يُعقَل فيَعقِل؛ لأنّ غير الممتنع يجب في حقّه. ـ بناء على هذا، يجوز أن يكون سها، لأنّه بناء على أن المعقول ذاته الخارجيّة يجوز أن يحصل فيه صورة مجرّدة فيعقلها؛ واعترف بأنّ مقارنة الصورة محال على واجب الوجود.

وفيه أيضاً أخذُ مثال الشيء مكانه، فإنه قال: جاز على صورته مقارنة ذاتٍ عقلّيةٍ فيجوز عليه لإنّ الاستعداد للماهية المطلقة، والقائل أن يقول: عليه جاز على صورته الانطباع في جوهر فيجوز عليه؛ لإنّ الاستعداد لمطلق الماهيّة؛ ولا يحكم على الشيء بحكم مثاله، ولا نطوّل إذ لا يليق بالمختصرات.

[في علمه تعالى بالأشياء وأن علمه وحياته وقدرته لا يزيد على ذاته]

ويجب أن يكون إحاطة الحقّ الأوّل بالأشياء ليس أمراً متغيّراً بزمانٍ.

واعلم إنّ علومنا بالزمانيّات متغيّرة، فإن أحدنا إذا علم مثلاً إنّ فلاناً سيجيء، حينَ هذا حقّ يكذب الحكم بأنّه جاء فإذا جاء، وحكم بإنّه سيجيء كما كان فجهل، فلا بدّ من التغيّر، وواجب الوجود منزّه عن هذه التغيّرات. وليست

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٥.

الزمانيات المتغيّرة الماديّة بأشخاصها لازمة حاضرة لواجب الوجود، فإنّه مجرّد عن المادّة بالكليّة. وفي الجملة، كلّ علم غير موجب للزيادة والتغيّر والتمثّل فيه الذي يكفيه مجرّد الحضور واجب له تعالى كيف كان، وغيره لا يجوز عليه. وإذا كان مبدءاً للوجود كلّه ومدركاً للوجود كلّه فهو حيّ؛ لأنّ «الحيّ» هو الدرّاك الفعّال، فإذا لم يزد علمه على ذاته فكذلك حياته. وإذا لم يلزمه حاجة إلى تحريك آلات فلا افتقار له إلى قوة محرّكة كما لنا، فلا يحتاج إلى قدرة زائدة على ذاته.

[في «العناية» وعلم المبادىء العالية بكيفية نظام الكلّ]

وهذا النظام الموجود في العالم لا يصدر عن جزاف؛ ففي المبادئ العلوم العقلية تمثّل صورتها، إذ يمكن على العقول التصور والتمثّل؛ فعلوم المبادئ بكيفيّة نظام الكلّ، وما يجب أن يكون عليه هو «العناية» وفي الأوّل لا تزيد على ذاته وعدم غيبته عن ذاته لوازمها.

وفي العقول يجوز أن تكون نقشاً زائداً معلّلاً بالتجرّد عن المادّة وعدم الحجاب بينها وبين لوازمها ومبادئها وإمكان الانتقاش.

ونقوش العقول أيضاً حاضرة له تعالى، وكذا نقوش نفوس الأفلاك بالنسبة إلى ما فوقها، فكل سافل نسبة حضور نقشه إلى ما فوقه ـ كما عرفتَ ـ من حضور الصور الخياليّة للنفس، فافهم وعمّم الاحاطة الإلهيّة كذا.

ولو عدلتَ إلى غير هذه الطريقة في العلم لكثّرتَ الحقّ تكثيراً.

واعلم إن الذي هو الوجود المحض وماهيته وجوده الذي لا أتمّ منه، لا يعرفه كما هو إلا هو، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٥﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾[1] فسبحانه، سبحانه، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصارَ.

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١١٥ ـ ١١٦.

فصل [٣] ـ [في لطائف من «العناية» ودقائق من حكمة الله ورحمته]

(٥٧) لو نظرتَ إلى آثار رحمة الله في هذا العالم، لقضيتَ العجب من إن الرحمة الإلهيّة لمّا كان غير جائز أن تقف على حدٍّ يُبقي وراءها الامكانَ الغير المتناهي، وجدتَ الهيولى ذات قوة القبول إلى غير النهاية، كما للمبادئ قوة الفعل إلى غير النهاية.

وكان لا بد أيضاً لتجدُّد الفيض من تجدّدِ أمرٍ ما، فوُجِدت أشخاص فلكيّة دائرةً لأغراضٍ علويّة يتبعها استعداد غير متناه ينضمّ إلى فاعل غير متناهٍ وقابل كذلك، فينفتح باب نزول البركات ورشح الخير الدائم في الآزال والآباد، ويحصل الفيض عل كلّ قابل بحسب استعداده، إذ المبدأ الواهب لا تغيّر فيه، ولو كان للنملة استعداد قبول نفس أشرف ـ كما للإنسان ـ لحصل فيها من فيض العقل الفيّاض.

ثمّ لمّا كان اشرف ما يتعلّق بالهيولى النفس الناطقة وكان غيرَ جائز خروجُ جميع الممكن منها دفعةً دون الأبدان ولا مع الأبدان، فبحسب الأدوار والأكوار والاستعدادات تحصل نفوس من فيض واهبها قرناً بعد قرنٍ، راجعة إلى ربّها إذا كملتْ.

ثم نظرتَ إلى كيفيّة وضع الأرض في الوسط إذا لو قربت من الأثير لاحترقت سريعاً.

ولو جاور الفلك غير النار من العناصر لسخّنه الفلك فصار ناراً انضمّ إليها تسخين النار، لتحلّلت جميع العناصر.

ولمّا كانت الحيوانات أُولات التحريك والإدراك محتاجةً إلى عناية العنصر اليابس وغلبته إذ به تنحفظ الصور المدركة وأشكال الأعضاء وغيره فوُجِدَتْ عنده غير محيط بها الماء لحاجتها إلى استنشاف الهواء.

ووضع تحت النار ما يناسبها في الحرّ، وعند الأرض ما يناسبها في البرد.

وكان الماء أيضاً له مع الهواء مناسبة مِيعانٍ فجاورَه بحيث لا يبطل العدل.

ثم لو كانت الأفلاك كلّها نورية لأحرقت بالشعاع ما دونها، ولو كانت عرّية عن النور لبقي آل هاوية الهيولى في ظلمة لا أَوْحَش منها، ولو كان أنوارها ثابتة دون تحرّك لأثّرت بافراط وتفريط وأحرقت ما دامت في مقابلته ولم يلحق أثرها غيره، ولو كان لها حركة واحدة للازمت دائرة غير واصل أثر الشعاع، إلى نواحيها فحصلت الحركة السريعة تابعة لحركة المحيط على الكلّ، ولكلّ فلكٍ هو حامل جرم نوريّ حركة أُخرى بطيئة تميل بها إلى النواحي جنوباً وشمالاً، وغير ذلك من عجائب السماوات والأرض.

فسبحان الواهب النافع ينبوع الوجود ومبدأ الخير الدائم.

انظرْ كيف نسبة بدنك إلى عالم العناصر، وكيف نسبة العنصريات إلى جرم الكلّ وكيف نسبة جرم الكلّ، إلى نفس الكلّ، وكيف نسبة نفس الكلّ إلى العقول، وكيف نسبتها إلى العقل المسمّى «بالعنصر الأعلى» وهو العرش العظيم المجيد، ولا نسبة له إلى جناب الكبرياء، فانطوت العناصر في الإجرام السماويّة، وهي في قهر النفوس، وهي في قهر العقول، وهي في حيّز قهر المعلول الأوّل، والله من ورائهم محيطٌ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾(١) ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾(٢) تلاشى الكلّ في جبروته.

فسبحانك اللهّم وبحمدك، أَشْهَدُ إن كلّ معبود من دون عرشك إلى قرار الأرضين باطل ما خلا وجهك الكريم، لا أنت إلاّ أنت، طهِّرنا بعزّتك عن رجس الهيولى، وهبْ لنا من لدنك رحمةً، إليك الرغبوت ومنك الرهبوت، وأنت إله العالمين.

فصل [٤] ـ [في الشرّ]

(٥٨) واعلم إن «الشرّ» لا ذات له بل هو عدم ذات، أو عدم كمال مّا، وما

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٨. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

يوجد من الموجودات شرّاً فإنما هو شرّ لتسبُّبه لعدم كمال شيء، إذ لو فُرض موجودٌ لا يخلّ بذات شيء ولا كمالٍ وهيئةِ حُسْنٍ واعتدالٍ له، فوجوده لا يضّره، ولا يكون أيضًا شرّاً لنفسه فلا يكون شرّاً.

واعلم إنّ من الممكنات:

[١] ما لا شرّ فيها أصلاً، بل هي خير وهي أمور تامّة لا يعوزها ما ينبغي لها أصلاً ولا يخالطها ما لا ينبغي.

[٢] ومنها، أمور فيها خير كثير ويلزمها شرّ قليل.

[٣] وفي القسمة شرّ مطلقًا.

[٤] أو كثير شرٍّ مع قليل خير.

فوجب من الخير المحض الواجبي القسم الأوّل على ما علمتَ من حال الامكان الأشرف، كذا القسم الثاني لأنّ في ترك الخير الكثير لشرّ قليل شّرًا كثيرًا، ويمتنع الباقيان.

فالقسم الأوّل كالعقول ونحوها، والثاني مثل خلق النار النافعة نفعاً بالغاً، ولكن قد يلزمها بحسب اتفاقاتٍ حرقُ شيء بملاقاتها له، فتُعَدّ شّراً، وكذلك حيواناتٌ وجودها خير إلاّ أنها بحسب المصادمات قد تتأدّى إلى ضررٍ مّا؛ وكذا نوع الإنسان المستعدّ للفضائل قد يعتريه لاتفاقاتٍ اعتقاد سوءٍ وجهلُ وارتكاب خطيئة، ولكنّ هذه الشرور في أشخاص أقلَّ من أشخاص السالمين، وأوقاتٍ أقلّ من أوقات السلامة.

و«الشرّ» داخل في القدر مرضّيٌ به بالعرض، ومنبعُه الامكان والعدم.

سؤال: لِمَ ما أُوجِد هذا القسم على وجهٍ لا يلزمه هذا؟

جواب: فيكون غير نفسه، فيرجع إلى القسم الأوّل الذي قد أوجد ما أمكن منه فكأنّك قلتَ لِمَ ما جُعلت النار غير النار والماء غير نفسه؟

سؤال: لِمَ قلتَ إنّ الخير غالب وأكثر الناس الغالب عليهم مضادّ كمالاتهم؟

جواب: كما إنّ حال الأبدان على أقسامٍ: بالغٌ في كمالاتها، ومتوسّطٌ وهو

الأكثر، على مراتب ونازلٌ شديد النزول وهو أقلّ من المتوسّط فضلاً عن مجموع القسمين فكذلك في أحوال الآخرة.

سؤال: إن كان الكلّ بالقضاء والقدر فلِمَ يعاقَب؟

جواب: العقاب للنفس على خطيئتها ليس لمنتقم من خارج، بل هي حاملة عذابها، معها فساقتها الاتّفاقات القدريّة إلى اقتراف شهوات، وارتكاب جهالات، ففارقت متلطّخةً، ردّ إليها اعمالُها، فتأذّت بما معها كالمتألّم بمرضه لنهمةٍ سابقة سائقة إليه، والكلّ بالقدر الذي هو تفصيل القضاء الأوّل الوحداني.

فصل [٥] - [في أنّ النفس الناطقة لا تبطل بعد موتها]

(٥٩) اعلم إنّ النفس باقية بعد البدن لبقاء علّتها الفائضة لوجودها، لأنها لو بطلت كان بطلانها، إمّا لذاتها أو لحصول ما لعدمه مدخل في بقائها، أو لبطلان ما لوجوده مدخل في وجودها.

والأوّل باطل، إذ لا يقتضي الشيء عدم نفسه، وإلاّ ما وُجد.

و [أما الثاني]، وليس لها ضدّ ولا مستدعي ضدٍّ، ولا مانع مزاحم لتجرّدها عن المحلّ والمكان.

وليس لها شرط، فإنه إن كان جوهراً مبايناً غير مفيض الوجود لا يلزم من عدمه عدمها، وإن كان عرضاً في غيره فهو أولى، وإن كان عرضاً فيها فأعراضها ليست إلاّ أموراً إدراكيّة وأفعالاً وانفعالاتٍ متعلّقةً بالبدن، وليس شيء منها شرطها، إذ الأولى بالشرطيّة لبقائها كمالاتها فكانت عديمةُ الكمال لا تبقى مع البدن أيضاً، إذ لا يُتصوّر أصلاً استمرار وجود شيءٍ دون شرطه، وليس كذا، وليس شيء منها مبطلاً لها وإلاّ كان الجدير بإبطالها الانفعالاتُ عن البدن والجهلُ، فكان كلّ نفس شريرة لا تثبت مع وجود هذه كيف كانت أصلاً، وليس كذلك.

سؤال: شيء من هذه مبطل ولكن عند قطع العلاقة؟

جواب: أمّا العلاقة، فاضافة مّا تابعة لوجود النفس، واضعف الاعراض الاضافة، فإنّ تغيّرها لا يوجب تغيّراً في الشيء فانقطاعها لا يبطل النفس، والباقياتُ إن كانت مُبطِلة لذاتها فما اختلف تأثيرها بعلاقة وعدمِها.

[في إثبات بقاء النفس بعد موت البدن]

حجة أخرى هي أن النفس بالفعل موجودة، ولها بالفعل أن تبقى، وكلّ ما يبطل فلا بدّ له من قوة للفناء مقارنةٍ لقوة الثبات، والنفسُ وحدانيّة وهي من حيث هي بالفعل، فلا يكون في الشيء الواحد البقاء والفناء بالفعل، وقوّتا الثبات والفناء، والاعراضُ والصور لها ذلك في محلّها والنفس لا حامل لها، وإن أُخذ في النفس أمر مّا كالصورة، فنعمد الكلام إلى المجرّد عن المادّة الذي هو الأصل؛ فلا بدّ وأَن تبقى.

سؤال: ألستم قلتم، استعداد وجود النفس في المادّة، فكذلك استعداد عدمها؟

جواب: استعداد البدن هو لأن يكون له كمال هو جوهر مباين الذات، ولا يكون كمالاً له حتّى يكون في نفسه موجودًا، ثمّ إذا بطل للبدن استعدادُ أن يكون هذا الجوهر كمالاً له، فلا يلزم من لا كونه كمالاً له أن لا يكون في نفسه، بخلاف ما كان عند كونه كمالاً له، إذ كان يستدعي كونُه كمالاً له كونَه في نفسه، فحصل الاستعداد؛ حتى لو كان الجوهر المباين يلزم من لا كونه لشيء لا كونه في نفسه لبطل النفس ببطلان استعداد البدن لان تكون هي كماله، والشيء ما لم يجب عدمُه لا ينعدم فافهمْ هذا.

فصل [٦] ـ [في التناسخ وإبطاله]

(٦٠) الحجة في امتناع التناسخ إنّ البدن إذا حصل له مزاج استحقّ به من الواهب نفساً فإذا قارنته النفس المستنسخة فيحصلُ لحيوان واحدٍ نفسان؛ ولا يعلم الإنسان لبدنه إلاّ نفساً واحدةً لا غير.

سؤال: الخصم ليس يسلّم أن بدن الإنسان يفيض إليه من الواهب شيء، بل قال: إنّ نفوس النبات انتقلت إلى الحيوانات، ومن الحيوانات إلى الإنسان بعد انتقالها في أنواعٍ من النبات والحيوانات؛ ثم ما يتخلّص فيصعد إلى رتبة الإنسان؟

جواب: إن استعدّ النبات بمزاجه لنفسٍ، فالاولى أن يستعدّ الإنسان بمزاجه الأكمل الأتم.

سؤال: مثل هذا الأولويّات في عالم الاتفاقات غير مسموعة، فإنّ ههنا أمورًا قدرية غائبة، ولو اجتمع الناس على أن يستخرجوا أن المغناطيس لأيّ مزاجٍ استعدّ للقوة الجاذبة للحديد لم يمكنهم العثور، وليس لقائل أن يقول: إذا استعدّ المغناطيس لجذب الحديد بمزاجٍ فمزاج الإنسان أكمل فينبغي أن يجذبه، فإنّ الأمور خفيّة.

[أدلّة القائلين بالتناسخ]

ثم أقول:

[١] بلى إنّ المزاج الأشرف يستدعي النفس الأشرف وهي التي جاوزت الدرجات النباتية والحيوانية.

[٢] والنفوس إنما كان احتياجها إلى القوالب لأجل أنها بالقوة، فالنفوس الإنسانية الجاهلة الشقيّة هي أبخس ممّا كانت في أول فطرتها ولها الملكات الرديّة، فهي أشدّ انجذاباً إلى الاجرام ممّا كانت.

[٣] ثمّ الفاسق الشرير الجاهل إذا قلّت شواغله في منامٍ أو لخللٍ ـ كما للممرورين ـ يطّلع على أمور غيبيّة لاتّصاله بذلك العالم، فكيف جوّزتم مفارقة الأشقياء عن البدن وليس بينها وبين النفوس الفلكية حجاب فتتصل بها وتتلّذذ، فأين الشقاوة؟ وإن قلتم منعها الهيئات الرديّة، فلِمَ ما منعها عن المنامات أو الأمور الغيبيّة عند خلل؟ فلا محالة ينبغي أن تنتقل نفوس الأشقياء على حسب أخلاقها وملكاتها وعلاقتها مع الاجرام إلى شيء من الحيوانات المعَذَبة.

[٤] ثم الحيوانات ليس لها عضو إلاّ وينتقص ويتحلل ولو يسيراً يسيراً، وإذا لم يثبت فيها شيء دون تحلّل، إذ الحرارة والهواء المحيط وغيرها من الأسباب مخفّفة مُحلّلة، فليس لنا أن نقول إنّ الفرسَ لا يزال ينقص نفسه الحيوانية فتنقص فرسيّته، ثم ما نرى من الحيوانات من عجائب الأفعال تشهد أنّ لها نفوساً غير منطبعة ينبغي أن ترتقي إلى كمال، فإنّ العناية لا توجب إهمال نوع عن كماله فترتقي إلى الإنسانية.

[٥] وكانت الحكماء كلّهم من القدماء يرون هذا الرأي.

[٦] وإليه إشارة الأنبياء وكقول القائل الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[١] وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥﴾[٢] وقوله: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾[٣] وقوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[٤]؟ وقوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۝١٠٧﴾[٥]، والمسيح وغيره من الأنبياء عليهم السلام يقرب من التصريح فيما نحن فيه.

والذي يقال: «لا يجب أن يطابق عدد الكائنات عدد الفاسدات ولا وقت الفساد بالكون»، غير صحيح، فإنّ من الأمور الفلكية المستمرّة ما يخفى علينا أثارها ولعله وجب بقانون مضبوطٍ في العناية وما اطّلعتَ عليه.

وأمّا العدد فليست عن جميع الحيوانات تنتقل إلى الإنسان، ولا عن جميع النبات، ثمّ فيما بينها رُتَبٌ كثيرة ومدة بقاء مختلف ولا تنضبط لنا.

ولولا كثرة نفوس راجعة في أزمنة طويلةٍ لكان التطابق ممتنعاً، مع أنه يجوز أن يكون حيوانات لا استعداد لها لقبول فيض جديد مقصورة الاستعداد على ما ينقطع

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٦.
(٢) سورة التين، الآيتان: ٤ ـ ٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٤) سورة غافر، الآية: ١١.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٧.
(٦)

تصّرفه عن الهياكل الإنسانيّة منتقلاً بتصّرفه إليها، إذا كانت علاقته مع الاجرام باقية، دون السعداء الذين قيل فيهم ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[1]، وبهذا يستمرّ التعذّب بالجهل المركّب وغيره فإنّ المفارقة بالكلّية ليس معها تخيّل.

[٧] والجهلُ المركّب لا بدّ فيه من تصوّرات وتصديقات على خلاف ما ينبغي حاضرةٍ، فلا متخيّلة متخصّصة بصورةٍ صورةٍ ولا اتفاقات متجدّدة كما في السرمد، فلا تعذّب لها بالجهل المركّب، غايةُ ما في الباب أن يبقى ملكاتٌ، فإذا لم يبق مددٌ إدراكيٌّ ولا شوقٌ إلى ما لا تصوّر له بوجهٍ ولا مخصّص ولا قوة نزوعيّة فلا تألّم بالشوق أيضاً إلى أشياء كثيرة، وقد ارتفعت المشوّشات الحسّيّة فكان لها ما لِمن وقفت قواه فنال اللذات العُلى. ومَن انصف من نفسه وجد تصديقاً بهذا.

[٨] وكذا من نظر إلى عجائب في الحيوانات: (أ) كتكبّر الأسد ورئاسته، و(ب) كقوة بعضهم المعجّزة للإنسان: أكان بنفس المزاج؟ والإنسان أتمّ مزاجاً، أو بضخامة البدن الممانع ثقله لجهات التحريك الغير المطرّد»؟ وقد لا يزيد على الإنسان ببدنه، وليس كذا، أو بنفسه المنطبعة التي زادت على المجرّدة بقوتها، وهو محال، و(ج) ما يُرى من رئاسة النحل وسماع الإبل المُنسي له جميع مهمّاته يشهد بهذا، و(د) احتراز الفَرَس مثلاً عن البئر أو الذئب: أكان لِبئرٍ أو ذئبٍ هو في الخيال معيّن كما قيل ـ فما كان يحترز عمّا يخالفه في المقدار واللون والشكل والوضع وليس كذا، أو عن أمرٍ كلّيّ يستدعي نفساً مجرّدة فلا انطباع، فتستدعي من العناية سعادة؛ أمّا الترقّي إلى الإنسان، أو بلذّة من عقل بعد المفارقة، والذوق السليم يتفطّن لهذه الأشياء، ولعلّ هذه من إحدى عشر مسئلة كتمها **المعلّم الأوّل** لمصلحةٍ.

وليس هذا ما اصطُلح عليه «بالتناسخ» فإنهم القائلون بأنّ النفوس جرميّة دائمة الانتقال في الحيوانات، وأيضاً لا مانع عن أن يكون من الحيوانات والنبات الغير

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٥٦.

الثابتة زمانًا طويلاً مّا ليس لها مثل هذه النفوس، ففي الأدوار والأزمنة الطويلة بعد اللبث احقاباً ينجو نفرٌ من الأشقياء عن هذه العُمُد الممدّدة من هذه جَهَنّم، التي قيل لها: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾(١)؟، وعلى حسب الأخلاق والملكات تتخصّص بالأنواع.

الجواب [عن حجج المتبقين للتناسخ]

أمّا الأولويات، فكما قلتَ إلاّ أنّ لكلّ مزاج كمالاً وإذا استدعى المزاجُ الاخسّ من الواهب فالاكمل أولى.

وأما ثبات شيءٍ في الحيوان، فمشهور أنّ بعض الأعضاء تبقى إلى حلول الأجل.

وأمّا العددُ، فكم من عددٍ من الحيوانات لا يعيش أسبوعاً، ومنها ما لا يبقى سنةً؛ وكذا النبات، فكيف ينطبق العدد لها على عدد ما يبقى سنين وهو أقلّ منها عدداً؟ وليس نقُل البعض أولى من بعض.

وأمّا غرائب إدراكات الحيوانات وتحريكاتها، فبمعاونة قُوىً فلكية وإِلهامات.

وأمّا حال الإبل فالتلذّذ بالمدرَكات الحسّيّة، ليس ببعيد عن قوة جرمية.

وأمّا المكتوم وغير المكتوم فالاعتماد على البرهان فيهما.

وأمّا أن يكون استدعاء النبات بمزاجه نفساً من الواهب وفيضاً جديداً لخصوصيّته كما ذُكر من قوة المغناطيس دون الإنسان، فتلك الخصوصيّة ليست إلاّ بالمزاج على حسب أحواله واعتدالاته، فكما إنّ ما يستدعي المغناطيسُ من الخاصّيّة لا يصلح لغيره، وما زاد عليه بالاعتدال زاد بنوع آخر من الكمال عليه، فكذلك النبات وعُجْمُ الحيواناتِ، والإنسانُ زاد عليها بالاعتدال، فيزيد عليها بقبول فيض مستقّل من الواهب دون تبعيّتها.

وأمّا الرموز النبويّة فلها محامل، وسيأتي تتمة هذا الكلام؛ من بعد وليس هذا الكتاب محلّ التطويل.

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٠.

فصل [٧] ـ [في اللذة والألم]

(٦١) اعلم إن اللذات الحسّية الظاهرة تغلبها اللذاتُ الحيوانيّة الباطنة حتى إنّ محبّ الشطرنج وغيره من اللعب قد يختاره على طيّبات المطاعم، والإنسان يلتذّ بمحافظة حشمته على وجهٍ يختار ترك كثير من اللذّات على تركها، ولا يخصّ نحو هذا بالإنسان بل وعُجْمُ الحيوانات كذلك حتى إنّ المرضعة تختار ما ولدتها على نفسها، فإذا كانت هذه هكذا فكيف اللذّات العقلية والعوامّ غافلون عن أنّ لذّات الملائكة وتنعّمها بشهود جلال الله أعظم من لذّات البهائم التي شاركتنا في وقاع وغذاء.

و«اللذة» هي إدراك ما وصل من كمال الدرك وخيره إليه من حيث هو كذلك، وإن شئتَ قيّدت بقولك: ولا شاغل ولا مضادّ.

و«الألم» إدراك ما وصل من آفة المدرك وشرّه إليه من حيث هو كذلك، وإن شئتَ قيّدت بما سبق. ولِكلّ من قواك المدرِكة كمال وشرّ وكذا لذّة وألم باعتبارهما، واللذّة متعلّقة بوصول لِكمال خيريّ، وإدراكِه من حيث هو كذلك.

ويُظنّ أنّ من الكمالات ما لا يُلتذّ به عند الوصول مثل الصحّة، وليس كذا، فإنّا شرطنا «وصولاً» «وإدراكاً»، والمحسوسات عند الاستقرار قد لا تُدرك، على أنّ المريض عند الأوبة إلى صحّته عاجلاً يلتذّ عظيماً.

واللذيذ قد يصل دون اللذّة كما للمريض المبغض للطعام، وإنّما ذلك لأنه ليس بكمال في حالته تلك؛ أو لعدمِ الشعور من حيث هو كذا، ولأنّه يُشترط في الشعور السلامةُ حتى لا يكون كعليل المَعِدَة المُبغض للطعام الحلو، والفراغُ حتى لا يكون كالممتلئ شديداً إذا لم يلتذّ بما يحضره من الطعام.

والسبب المؤلم قد يَصل ولا يَصل الألم لعدم الشعور، إمّا بناءً على عدم السلامة كمَن سقطت قواه عند الموت أو على مانعٍ كالخَدَر والسُكْر، فإذا استوت القوة عظم الألم.

ومن لم يؤتِ ذوقاً قد لا يشتاق إلى الكمال، كالعنين الغافل عن لذّة الجماع؛

وانتفاء شوقه ليس لعدم لذّات الوقاع بل لانتفاء ذوقه، ومن لم يكن له مقاساة قد لا يبالغ في الاحتراز كالمقصِّر في الحميّة لغفلته عن ألم الأمراض.

واعلم إنّ الذي هو عند «الشهوة» خير وكمال هو مثل تَكيّف العضو الذي له قوة الذوق بكيفية الحلاوة، كانت مأخوذة عن مادّة أو لم تكن، وكذلك اللمس والشمّ وغيرهما.

وكمال «قوة الغضب» تكيّفُ النفس بالغلبة، أو شعورٌ بأذى عدوٍّ، أو انتقامٍ، فلِكلّ قوة على حسب كمالها لذّة.

وكمال «الجوهر المدرِك» أن يصيرَ عالماً عقليّاً ينتقش بجميع الوجود من لدن مسبّب الأسباب الحقّ الأوّل، آتيًا على العقول والنفوس والاجرام فما تحتها على النظام الذي له والمعادِ، إدراكاً مع ملكة حقيقيةٍ.

والعقلُ لا يقاس لذّته إلى اللذات البهيميّة التي سلفت الإشارة إليها لأنّها.

[١] أشرفُ المشاعر، وإدراكاتها أقوى، فإنها لا تقتصر على السطوح والظواهر كالحواسّ، بل هي مستظهرة البواطن.

[٢] وألَزَمُ، فإنها لا تنفسد، بخلاف الحواسّ.

[٣] وأكثر، إذ مدرَكاتها لا تتناهى بخلاف ما للحواسّ.

[٤] وأشرفُ، فإن مدرَكاتها الحقّ الأوّل وما يليه من الذوات القدسية؛ فنسبة لذّاتها إلى لذّات سائر القوى نسبة المدرِك والمدرَك والإدراك إلى المدرِك والمدرَك والإدراك.

والحسّيات إدراكها مشوب. والعقل هو المدرِك الخالص الصافي، ولا يكذب أصلاً. والاعتقادات السّيئة إنما هي لغلبة وَهْمٍ ونحوْه.

وأمّا كمال النفس من جهة علاقة المادّة، فإن تحصل لها الهيئة الاستعلائيّة على البدن ولا تنفعل عن قواه.

ويحصل لها «العدالة» وهي «عفّة» و«شجاعة» و«حكمة»، ـ وهي ملكة توسّط القوة الشهوانيّة والغضبيّة واستعمالِ القوة العمليّة فيما يدّبر به الحيوة وما لا يدّبر.

وكمالها بالجملة التشبّه بالمبادئ بحسب الطاقة، حتى تتجرّد عن المادّة من جميع الوجوه منتقشة بهيئة الوجود.

وإذا لم تشتق النفس إلى كمالها أو لم تتلذّذ، فإن ذلك لعوائق بدنيّة.

وهذه الهيئات والملكات الردّية إذا تمكّنت بعد المفارقة، كانت النفس بعدها ككونها قبلها إلاّ أنها زال عنها مانع الألم فتتألم.

وليست منطبعة بل لها علاقة شوقيّة إذا لم تحصل لها ملكة الاتّصال بالعقل الفعّال، وقد حيل بينها وبين ما تشتهي، فتتألّم بجهلها المركّب.

و«الجهل المركّب» هو عدم العلم بالحقّ مع اعتقاد نقيضه ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾[1]، فتبقى مقهورة مخذولة، ما لها من شفيع ولا حميم في نار روحانية أشدّ من نار جسمانية، والجهل المركّب هو الذي لا يُرجَى فيه النجاة بل يتأبّد، وما كان بسبب عوارض فيزول ولا يدوم.

سؤال: فارقت النفس عالم الاتفاقات، والألمُ لا ينعدم بذاته فكيف تتخلّص؟

جواب: إن في عالم النفوس تجدّداتٍ، وإن لم تكن إلاّ بتلاحق نفوس مفارقةٍ لكفى في التجدّد، فكلّ نفس طاهرة تتّصل بنوعها تتلذّذ بالمفارقات وتلذّذت هي أيضاً بها، فتعاكست الأنوار من كل على الآخر، والأنفس الخبيثة المتلطخة تتألّم بالاتّصال ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾[2].

[حال نفوس البُله والصلحاء والزهاد بعد المفارقة عن البدن]

وللبُله والصلحاء والزهّاد لكلٍّ سعادةٌ بحسبه.

وأما ما يقال: «أنه يكون في الهواء جرم مركّب من بخار ودخان موضوعاً لِتخيّلات بعض نفوس البُلْه لتحصل لهم سعادة وهمية، وكذلك لبعض الأشقياء شقاوةٌ وهمية»، لا أصل له، إذ ما هو في الهواء لا يبقى فيه اعتدال، وإن قرب من النار فتُحيله بسرعةٍ إلى جوهرها، وإن كان دونه في الهواء فإمّا أن يتحلل بحرٍّ، أو

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٨.

يتكاثف فينزل ببرد، وليس فيه جرم محيط يغلب عليه اليبس ليحفظه عن التبدد ويمنع غيره عن ممازجته، ويتعيّن فيه محلّ التخيّل متشكّلاً به؛ ولا بدّ من جوهر يابس تنحفظ فيه الصور، ورطبٍ لتُقبَل.

وأمّا ما قاله بعض العلماء من كون جرم سماويّ موضوعاً لتخيّلات طوائف من السعداء والأشقياء، لأنهم لم يتصور لهم العالم العقلي ولم تنقطع علاقتهم عن الاجرام، وهم بعدُ على القوة التي باعتبارها احتاجت النفس إلى علاقة البدن فكلامٌ حسنٌ:

أمّا السعداء فيتخيّلون مُثُلاً وصوراً عجيبةً أنيقة ويتلذذون بها، وكذا جميع ما يُلتذّ به عندنا، وتلك الصور أشرف مما في مدركات هذه الاجرام، إذ لا يشوبها هذه الكدورات، وأَبقى وأبعدُ عن كلال وملال لقوةٍ، فهي ألذّ، ولكن لا تنقطع علاقتها بعد وجودها، إذ لا فساد في الجرم السماوي.

سؤال: فالنفوس المفارقة لكلّ طبقة غيرُ متناهية فيلزم سلب النهاية عن مواضع التخيّل من الأجسام، وهذا محال.

جواب: إنما يلزم إذا كان لكلّ واحد جرمٌ آخر هو محلّ تخيّله، وإذا فهمتَ ما سلف في العلم الحضوريّ لا تستبعد أن يكون لكثير من النفوس جرم واحد يشاهد كلّ منها فيه الصور. وليس لها تحريك ذلك الجرم ليتمانع باختلاف ارادات.

ويجوز أن يكون هذه الاجرام متفاوتة في الشرف، وتحصل العلائقُ معها على قدر الدرجات، ولا يبعد أن يكون إليه الإشارة بقول القائل: «أنّ الجنّة في السماء الرابعة» وقد قيل «إنها جنة ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] ولهم فيها ما يشتهون وملك كبير»، ولا يبعد أن يكون لهم اطّلاع على أحوال هذا العالم أيضاً، بمثل ما سنذكر للنفوس الفلكية.

[حال نفوس الأشقياء بعد المفارقة عن البدن]

وأما الأشقياء، فلا يكون علاقتهم مع هذه الاجرام الشريفة ذوات النفوس

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

النورانية؛ والقوة تحوجهم إلى التخيّل الجرمي، فليس بممتنع أن يكون تحت فلك القمر وفوق كرة النار جرمٌ كريٌّ غير منخرق هو نوع نفسه ويكون برزخًا بين العالم الأثيري والعنصري، موضوعًا لتخيّلاتهم، فيتخيلون به من أعمالهم السيّئة مُثُلاً من نيران وحيّات تلسع وعقارب تلذع وزقوم يشرب وغير ذلك.

وبهذا يندفع ما بقي من شبه أهل التناسخ.

ولستُ أشكّ لما اشتغلت به من الرياضات أنّ الجُهّال والفَجَرة لو تجرّدوا عن قوة جرميّة مذكّرة لاحوالهم مستبقية لملكاتهم وجهالاتهم مخصصة لتصوراتهم نجوا إلى الروح الأكبر، وإن نظرتَ فيه إلى قوانين اعطيتُكَها ستعلم شطراً منه.

فصل [٨] - [في ابتهاجه تعالى بذاته ومراتب الإبتهاج]

(٦٢) أشدّ مبتهج بذاته هو الحقّ الأوّل، لأنه أشدّ إدراكاً، وأعظم مدرِك لأجلّ مدرَك، له البهاء الأعظم والجلال الأرفع، وهو الخير المحض والنور والجمال، وكمال كلّ شيء ما يجب أن يكون له، فما ظنّك بشيء وجب له الوجود لذاته؟ وكلّ شيء وجوده به وكماله منه، وهو نفس ما يجب في الوجود لذاته.

و«العشق» هو الابتهاج بتصوّر حضرة ذات مّا.

و«الشوق» هو الحركة إلى تتميم كمالٍ مّا عقليّ أو ظنّيّ أو غيرهما، وكلّ مشتاقٍ فقد نال شيئاً، وفاته شيء.

فالأوّل عاشق لذاته فحسب، ومعشوق لذاته ولغيره، وهو مقدّس عن الشوق.

وبعد لذّته وإدراكه، إدراكُ الجواهر العقلية المبتهَجَة به وبذواتهم من حيث هم مبتهجون به، ولا يُنسب إليهم «شوق» لأنهم بالفعل.

وبعدهم، النفوس الفلكية المحرّكة شوقاً وعشقاً.

ووراءها النفوس البشرية، منها أُولات المعارج من المقرّبين، ودونها السعداء

من أصحاب اليمين على مراتب، فكل لذّة هي بإدراك وحيوة، فما ظنّك بذواتٍ نفسها حيوة وإدراك وعلم؟

ودونها طائفة انتكست وبقيت في كرب الهيولى وغصّة وعذاب مغلولةً مقيّدةً بسلاسل علائق الهيولى، يلذعها عقارب الهيئات السيّئة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[1] وكانت قد ناداها المنادي الحقّ فتغافلتْ وغوتْ، فحلّ عليها غضب الحقّ فهوتْ، فهؤلاء هم الأشقياء سُلبت قواهم، فصاروا في ظلم الهيولى ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾[2]، وقد قيل فيها: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[3] ومن أعظم آلامهم ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[4] وقد ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[5] وأحاطتْ بهم خطيئاتهم فهُم ﴿فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[6] متقاعدون.

ثمّ السعداء قد فازوا بنعيم الأبد والسرور الدائم في حضرة جلال ربّ العالمين ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[7] غير مخرجين عن لذّاتهم؛ لهم ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾[8] «جُردٌ» عن عوارض الهيولى «مُردٌ» عن مزاحمة القوى مكحّلين بالأنوار الشارقة ينظرون إلى ربهم بوجوههم المفارقة. والنفس حينئذ كلها وجه وعين في جنّة بُنيتْ من خضرة زبرجد الحياة حصاتها وحجرها دُرَر ويواقيت حيّة من أرواح طاهرة، عيونها إدراك وتعقّل، وقصورها مراتب، ولكل درجات مما عملوا، انحذفت شواغل الهيولى فارتفعتْ الحجب فَهُم في حضرة ربّهم إخوان على سُرُر درجات الجلال متقابلين، لهم السياحة الحقيقية في أبحُر النور، والطيرانُ الحقيقي في فضاءِ الملكوت، لا يتجدّد عليهم حال ولا تغيّر ولا

(١) سورة هود، الآية: ١٠٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨.
(٣) سورة طه، الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٦.
(٤) سورة المطففين، الآية: ١٥.
(٥) سورة المطففين، الآية: ١٤.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٤٥.
(٧) سورة القمر، الآية: ٥٥.
(٨) سورة الزخرف، الآية: ٧١.

يمسّهم فيها نَصَبٌ ولا يمسّهم فيها لغوبٌ في ظلّ ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ التي ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾[1] وقد رتَعَتْ هذه النفوس في رياض الأفق الأعلى مبتهجة بربّ دعاها إلى ذاته فآوى، وقد انجذب إليه ذواتٌ آخرون انجذاب إبرة حديد إلى عوالم غير متناهية من مغناطيس، باقية متعلقة بجلال اللاهوت فانية عن النظر إلى ذواتها، غرقتْ في بحر بهائه ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

عجّلْ ـ رحمك الله ـ بسيرٍ حثيثٍ لتلحق سعادةً لا يفي بذكرها مقالٌ، ولا يرتقي إليها بالتصّور وهمٌ وخيال، فتبرزُ إلى ربّك وترى ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[3] وبرزوا لله الواحد القهّار، هنالك الولاية لله الحقّ.

فسلام على نفسٍ قربتْ من مبدأها بقطع علائق الناسوت، سلام على ذاتٍ هبّتْ عليها رياح الملكوت.

وا شوقاهْ إلى السُرداق القدسي! وا أسفاهْ على العالم العقلي!

إلٰهنا وإلٰه مبادينا! يا قيّوم يا حيّ يا كلّ يا مبدأ الكلّ يا نور كل نور يا فائض كلّ خير وجودٍ! خلّصنا إلى مشاهدة عالم ربوبيتك نَجّنا عن قيد الهيولى أذقْنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك، يا ربّنا وربّ كلّ عقل ونفس! أرسلْ على قلوبنا رياح رحمتك ﴿أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾[4] وأنزلْ على أرواحنا لوامع بركاتك وأفضْ على نفوسنا أنوار خيراتك، يسّرْ لنا العروج إلى سماء القدس والاتصال بالروحانييّن ومجاورة المعتكفين في حضرة الجبروت المطمئنّين في غُرفات المدينة الروحانية التي هي وراء الوراء.

سبحانك! ما عرفناك حق معرفتك، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

يا مَن لا يشغله سمع عن سمع، سبحانك! انّك أنتَ المتجلّي بنورك لِعبَادك في أطباق السموات والأرضين.

---

(١) سورة النجم، الآيات: ١٤ ـ ١٦.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢١.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٧.
(٤) سورة النساء، الآية: ٧٥.

فصل [٩] ـ [في العشق والشوق والهداية الإلهية]

(٦٣) لكل شيء كمال وعشق إليه. ولِما يتصوّر له الفقد عشقٌ وشوقٌ للاراديّ بحسبه، وللطبيعيّ بحسبه، والقدر سائق إلى أحد طرفي النقيض، والعناية ملهمة كما قيل: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾،[١] ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾[٢].

فصل [١٠] ـ [في السعادة]

(٦٤) لا تحسبّن أنّ «السعادة» على نوع واحد، بل للمقرّبين من العلماء البالغين في الملكات الشريفة لذّات عظيمةٌ، ولإصحاب اليمين أيضًا لذّات دونها، سّيما على تقدير وجود المُثُل التخيّليّة، فلهم وقفة في العالم الفلكي معها دون الوصول إلى رتبة السابقين، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾[٣].

وقد يخالط لذّات المتوسطين شوبٌ من لذّات المقرّبين كما يشير إليه حيث قال تبارك وتعالى في شراب الأبرار: أنه ﴿مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ﴾ ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾[٤]، وهؤلاء لهم العروج إلى مشاهدة الواحد الحق مستغرقين فيه.

و«الأبرار» على تقدير وجود المُثُل التخيّلية يتلذذون بأصباغ تخيّلية فلكية وطيور وحور عين وذهبٍ وفضّةٍ وغيرها وهي أحسن مما عندنا وأشرف.

---

(١) سورة طه، الآية: ٥٠.
(٢) سورة الشمس، الآيتان: ٧ ـ ٨.
(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ١٠ ـ ١١.
(٤) سورة المطففين، الآيات: ٢٧ ـ ٢٨.

المورد الرابع

في النبوّات والآيات والمنامات ونحوها (وفيه تلويحات ثلاثة)

التلويح الأول في النبوّات

(٦٥) **واعلم** إنّ الشرط الأول في النبوّة ان يكون مأموراً من السماء بإصلاح النوع، وستعرف كيفية هذا الأمر.

ومما يتعلق برُتبِهم حصول العلوم أكثرها من غير تعلّم بشريّ، وقد عرفتَ مراتب الحدس وإمكانه وشدة الاتّصال بالعقل الفعّال.

وأيضاً: طاعة هيولى العالم لهم بما أرادوا من الزلازل والخسف والتحريكات والتسكينات، وسنشير إلى كيفية ذلك.

وأيضاً: لهم الانذار بالمغيبات والأمور الجزئيّة الواقعة إمّا في الماضي، أو في المستقبل، وسيأتيك بيانه، والأول هو العمدة، وغيره من الخصال الثلاثة قد تجتمع في إخوان التجريد.

فصل - [إثبات النبوّة وكيفية دعوة النبي إلى اللهِ والمعاد]

(٦٦) ولمّا كان الإنسان لم ينحصر نوعه في شخص فاختلفت اعدادٌ، وتفرقت

أحزاب وانعقدت ضياع وبلادٌ، والواحد لا يقوم بأمر نفسه غيرَ مفتقرٍ إلى معاونة بني نوعه؛ فاضطُرّ النوع في معاملاتهم ومناكحاتهم وجناياتهم إلى قانونٍ متبوعٍ مرجوعٍ إليه، وعقولهم متعارضة متكافئة ولا يُذعِنَ مَن يدّعي كمالَ رأيٍ لمثله، فلا بدّ فيهم من شخص هو الشارع المعيّن لهم منهجاً يسلكونه، يُذكِرهم الرحيلَ إلى ربّهم؛ ويُنذرهم بيوم ينادون فيه ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[1] و﴿تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ﴾[2]، ويُذكِّرهم ربّهم ويهدي إلى الحقّ وإلى ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

ولا بدّ من تخصّصه بآياتٍ دالّة على أنّه من عند ربّهم العالم القادر الغافر المنتقم ليخضع النوع له.

[أقسام العبادات وبعض مصالح تشريعها]

ويفرض عليهم العبادات، منها:

[١] وجوديةٌ يخصّهم نفعها كالأذكار والصلوات فتُحرّكهم بالشوق إلى الله تعالى.

[٢] وعدميةٌ تخصّهم أيضاً وتُزكّيهم كالصوم.

[٣] ووجوديةٌ نافعة لهم ولغيرهم كالقرابين والزكوات والصدقات.

[٤] وعدميّةٌ متعدّية أيضاً، كالكفّ عن ايلام النوع والجنس والصمت ونحوهما.

[٥] ويُرغّبُهم في أسفار ينزعجون فيها عن بيوتهم، طالبين رِضَى ربّهم يتذكّرون يوماً ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[4] فيزورون الهياكل الإلهية ومساكن الأنبياء ونحوها.

[٦] ويأمرهم بالتعاطف.

[٧] ويشرع لهم عباداتٍ يجتمعون عليها كالجمَع، فيكتسبون مع المثوبة الايتلاف والمصافاة والتودّد.

---

(١) سورة ق، الآية: ٤١.
(٢) سورة ق، الآية: ٤٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٢.
(٤) سورة يس، الآية: ٥١.

[٨] ويكرّر عليهم العبادات للتحكيم وإلاّ ينسون فيهملون.

التلويح الثاني
في سبب أفعال خارقة للعادة

(٦٧) **إنه قد** يُشاهَد من الأنبياء والمجرّدين إلى ربّهم أعمال خارقة للعادة، كحصول طوفانات باستدعائهم وزلازل واستنزال عقوبات واستهلاك أُمةٍ فجرتْ و﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾[1]، واستشفاء المرضى واستسقاء العطشى وغيره، وخضوع عُجْم الحيوانات لهم.

فاعلم إنّ النفس غير منطبعة في البدن وقد خضعها البدن، وعلمتَ تأثير الأوهام حتى إنّ الماشي على عالي حائطٍ شديد الارتفاع قليل العرض، لا يزال وهمه يُواعِدُه بالسقوط حتى إنه ربما يتزلزل من تخويفه وانفعالِه عن تصوّره، فينحدر ساقطاً، والامزجة تتأثّر عن الاوهام، إمّا بأوهام عامّية، أو بأوهام شديدة التأثير في بدء الفطرة، أو متدرجة بالتعويد والرياضات إلى ذلك، وإذا كان كذا فلا عجب أن يكون لبعض النفوس قوةٌ إلهيّةٌ تكون بقوتها كأنها نفس العالم يطيعها العنصر طاعةَ بدنها لها، سّيما وقد علمتَ أنّ جميع العنصريات وجميع الاجرام مطيعة للمجرّدات، فإذا زادت النفس في التجرّد والتشبّه بالمبادئ ازدادت قوةً، وإذا كان لها التأثير في المزاج والكيفيات التي هي مبادئ أحوال هذا العالم، فيكون لها التأثير بكثير من الغرائب، وعلمتَ أنه ليس من شرط كل مسخّن أن يكون حارّاً، وكذا نحوه.

وأيضاً، قد يحرّكون أجساماً يعجز عن تحريكها النوع، ونعلم أنّا إذا كنّا على طرب وهزّةٍ نعمل ما نتقاصر عن عُشره حين زالت عنّا، فما ظنّك بنفس طربت باهتزازٍ علويّ واستضاءت بنور ربّها؟ فحرّكت ما عجز عنه النوع، وقد اتّصلت على

(١) سورة الطلاق، الآية: ٨.

﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[(١)] ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[(٢)].

فصل ـ [أيضاً في دفع الاستعباد عن خوارق الأنبياء عليهم السلام]

(٦٨) وامساكهم عن الطعام مدّة يعجز عن شطرها غيرهم، ليس ببعيد، لِما تعلم أنّ المريض إذا اشتغلت طبيعته بهضم الموادّ الردّية تبقى الموادّ المحمودة محفوظةً، فيعيش زماناً دون مدد غذاءٍ من خارج، ودريتَ أنّ الهيئات النفسانية والبدنية ـ صاعدةٌ ونازلة ـ عادية من كلّ إلى صاحبه، والنفس إذا انجذبت إلى جانبٍ انجذبت قواها خلفها حتى إن الخائف تعجز قواه عن أفعال كانت مؤاتية عند عدم الخوف، فإذا كان الانجذاب إلى عالَمها انجذبت خلفها قوى بدنها فتعطّلت الأفعال الطبيعية المنسوبة إلى النفس النباتية، فوقفت الهاضمة وغيرها وبقيت الموادّ محفوظةً لم يتحلّل منها أكثر ممّا يتحلّل للمرضى، وقد باتت النفس عند ربّها فأطعمها وسقاها.

فصل ـ [بعض موجبات خوارق العادات في غير الأنبياء عليهم السلام]

(٦٩) وإذا علمتَ تأثير النفوس الإلهية والأوهام أيضاً:

فمن جملتها «العين» والمبدأ فيه هيئةٌ نفسانية معجبة تؤثّر في فساد المتعجَّب عنه بخاصّية.

و«السحر» أيضاً، من تأثير النفوس والأوهام إلاّ أنها شريرة تستعمل في الشرّ.

ومن موجبات خوارق العادات «النيرنجيات» وهي الخواصّ كجذب المغناطيس للحديد.

و«الطلسمات» وهي من أمزجةٍ أرضيةٍ مخصوصةٍ بهيئات وضعية أو قوى نفوسٍ أرضية مخصوصة بأحوال فلكية أو انفعالية بينها وبين قوىً سماويةٍ مناسبةٌ توجب آثاراً غريبة.

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٣.

(٢) سورة التكوير، الآيتان: ٢٠ ـ ٢١.

ويقرب من هذه الأشياء «التباخير المقوّية» للنفس، المُطرّبةُ لها بشدّةٍ المجمّعة المثبّتة لعزائمهم، وغير هذا.

فصل

(٧٠) والمداوم على ما من شأنه أن يكون له قليله ليس ببعيد أن يستكثر به منه، وللأمور أشباهٌ يعينك النظر إليها على ما أنت.

التلويح الثالث
في سبب انذارات

وها هنا مقدمة

(٧١) اعلم إنّك علمتَ أنّ للافلاك نفوساً ناطقةً ذوات ارادات جزئيّة، فلها أيضاً جهة شبيهة بقوتنا النظرية، وأخرى بالعملية، ولها رأيٌ كلّيّ وعلوم كلّيّة حاصلة فيها عن مبادئها وحركات جزئية، وللكائنات ضوابط معلومة محفوظة ليست بصادرة عن جزاف، بل هي على حسب مُثُلٍ غيبية هي ذكر حكيم في لوح أعلى.

والانذارات تدلّ على عالِمٍ بجزئيات، وليست للنفوس البشرية بذاتها وإلا ما غابت عنها، ولا بحسب قواها التي تخصّها وإلاّ ما تقاعدت عنها وقتًا مّا، وليس إلاّ من أمر علويّ ليس مما لا يتخيّل الأمور الجزئية من المجرّدات، فهي من العالم النفساني من الأفلاك؛ فيجب أن يكون لها ضوابط كلية عن مبادئها أنه «كلّما كان كذا كان كذا» قوانين أُحصيت في العالم العقلي، ثمّ إذا كانت منتقشة بها النفس الفلكية وتتخيّل الوصول إلى كلّ نقطة، فلها أن تَعلَمَ لازمَ حركتها باستثناء الشرطيّات: «لكن كان كذا فيكون كذا» أو «ليس فليس».

وكلّ ضابطٍ كلّيّ عندها وقوعه في الأعيان واجب التكرار والاستئناف، وإلاّ إن كان لها معلومات مترتّبة غير متناهية إنها تقع في المستقبل:

فأما أن يكون منها ما لا يقع أبدًا فالعلم كاذب؛ أو ليس منها ما لا يقع أصلاً،

فيأتي وقت يقع فيه الكلّ فليس لا يتناهي، ثمّ بعد ذلك يقع ما لا تعلم هي، وهو محال، مع أنّ المترتّب الغير المتناهي معاً محال.

والغير المنطبع في المادّة لولا احتجابه بها لتلألأ فيه النقوش التي في النفوس العالية، إذ لا مباينةَ بين المجرّدات إلاّ المادّة، فلَدَى الارتفاعِ يُطالِعها، ولنفوسنا هذا الاستعداد لولا البدن، وإلى تخفيف عوائقه سبيلٌ، وقد عرفتَ صحّة منامات.

و«النوم» إنما هو انحباس الروح عن الظاهر في الباطن.

فصل - [في أن النفوس الناطقة متمكنة من الإتصال بالمبادىء العالية]

(٧٢) القوى البدنية متنازعة متجاذبة، وكلّما انجذبت النفس إلى شيء من القوى الشهوانية والغضبية أو الحواسّ الظاهرة أو الباطنة، اشتغلت عن الباقيات، حتّى إنّ المتوغّل في فكره تتحيّر حواسّه متعطّلة عن إدراكاتها.

والحسّ المشترك هو الذي كلّ شيء ينطبع فيه، يحسّ كأنّه مشاهد، كان الارتسام من سبب خارجيّ أو من داخل كما للممرورين، إذ لا سبب خارجيّ هناك، والصور التي شاهدوها كثيراً مّا لا تنسب إلى وضع خارجي، ولو غمّضوا أعينهم لم يتغيّر الإدراك، وما كان كذا لو كان من خارجٍ، فإذن يكون الحسّ المشترك منتقشاً عن التخيّل والتوهّم وغيرهما كما كانت هي منتقشة عنه على ما يجريّ بين المرايا المتقابلة.

سؤال: فلِمَ لا يدوم كذا؟

جواب: الصارف عن انتقاش بنطاسيا عن ذلك شيئان:

عقليٌّ ووهميّ، يشغل الفاعل الذي هو المتخيّلة بأفكار وأحوالٍ عن أن يرتسم فيه.

وحسّيّ ظاهر، يشغل القابل الذي هو الحسّ المشترك.

وإذا فتر أحدُ الحافظَين ـ «العقليُّ» كما إذا استولى على الأعضاء الرئيسة مرضٌ فتنجذب النفس شديدًا إلى جهة المرض و«الحسّيُّ الظاهر» كما في النوم ـ ففي

الحالتين تتسلّط المتخيّلة على لوح الحسّ المشترك فتُنقِّشه بالمُثُل تنقيشاً، فترى الأشياء مشاهدةً.

وكلّما كانت النفس أضعف، كان انفعالها عن الجوانب أشدّ، وكلّما كانت النفس أقوى، كان ضبطها للجانبين أشدّ، وكان قوتها لحفظ الجميع أوسع، كما يعهد في الناس من يقرأ ويكتب ويفعل غيرهما معاً، لشدّة قوته ورأينا من ذلك كثيرًا ممّا يعجز عنه الأغلب.

فصل - [أسباب الخوارق التي تظهر من الأنبياء والأولياء وغيرهم]

(٧٣) والمقتضي لأمر نوعيّ إذا عاقه عائق نوعيّ، ثمّ يوجَد لشخص منه تمكنٌ، فذلك إمّا لضعف العائق، أو لقوةٍ في المقتضي، فالنفس التي عاقها عن عالَمها قواها، إذا تمكّنت من الاتصال.

[١] فإمّا لقوتها الأصلية، كما للانبياء.

[٢] أو لقوةٍ مكتسبة كملكة الأبرار والأولياء.

[٣] أو لضعف العائقِ بحسب ضرورة مّا، كما في المنام.

[٤] أو فطريّ، كما لكثير ممّن ضعفت آلاته فطرةً، أو كالممرورين والمصروعين.

[٥] أو كسبيّ، كما يستعين بعض المتكهّنة بأمور يحصل منها للحسّ حيرة، وللخيال وقفة، فتستعدّ القوة الناطقة لتلقي الأمر الغيبيّ لضعف العائق:

[١] كما كان بعض التُرك يستعين بحركة سريعة جدًا لا يزال يلهث فيها حتى يكاد تنصرّع فتتراءى له أمور غيبية، ويسمع الحفَظَة ليبنوا عليه آراءهم وكان لا يخلو أيضاً من ضعف فطريّ.

[٢] وكاشغال بعض المستنطقين أبصار الصبيان والنساء ذوات الآلات الضعيفة بأشياء محيّرة للبصر شفّافة تُرعِش البصر برجرجتها أو تُدهِشه بشفيفها.

[٣] كاِشغالهم اياهم بتأمّل لطخ سواد ذي بصيص، وبأشياء دوّارة بسرعة وبأشياء مترقرقة.

[٤] وكاستعانة بعض المتكهّنة برقصٍ وتصفيقٍ، وفيه مع ذلك تطريب أيضاً وتدوير الرؤس وغيرها، وكلّ هذه موهّنة للحواسّ مخِلَّة بها.

[٥] وربّما يستعينون أيضاً بالايهام بالعزائم والتخويف والترهيب بالجنّ إذا استنطقوا غيرهم.

[٦] والكهنة قد يركّبون أصباغاً للتفريح، وتبخيرات، وربّما يحتاجون أيضاً إلى أمور خفيّة.

وقد يجتمع السببان: ضعفُ العائق وقوةُ النفس بتطريب، كما لكثير من المرتاضين من أولى الكدّ، وهذا حسنٌ.

وما للكهنة والممرورين نقصٌ وإخلال بالقوى وإفسادها وتعطيلها وهو غير محمود عند العلماء.

ولرياضات أُولى البصيرة أمورٌ مكتومة مخزونة.

فيتوسّلون هؤلاء الكلّ بهذه الأشياء إلى الانتقاش بمغيبات ويوكّلون الهمّ على شيء بخصوصه؛ فيتخصص استعدادهم بقبوله.

وثباتُ العزيمة العقليّة لها مدخل عظيم في أمور.

فصل - [أسباب وصور محاكاة القوة المتخيلة للهيئات الإدراكية]

(٧٤)وقد دريتَ أن القوة المتخيّلة محاكيةٌ لهيئات إدراكية ومزاجيةٍ، سريعة الانتقال من الشيء إلى ضدّه أو شبيهه.

ولتخصّص الانتقال أسبابٌ جزئية غابت عن ضبطنا، وقد تثبت على صورة حيناً:

إمّا لتلذّذها بها.

أو لتكرّرٍ.

أو لوضوح انتقاشها.

أو لكون الشيء مهمّاً شديداً.

فالسانح القدسيّ في النوم واليقظة للجميع قد يلمع كبرقةٍ.

إمّا مع لذّةٍ خاطفةٍ، كما لكثير من أصحاب الرياضات وإخوان التجريد، وفيهم وفي غيرهم قد يسنح دون لذّةٍ بل كأكثر المنامات.

فإذا قلّت الشواغل فتقع للنفس خلسةٌ إلى جانب القدس، فانتقشت بنقش غيبيّ.

فقد ينطوي سريعاً.

وقد يشرق على الذكر.

وقد يتعدّى إلى الخيال فيتسلّط الخيال على لوح الحسّ المشترك،

فيرتسم فيه:

[١] صورة في غاية الحسن والزينة على أكمل هيئةٍ وأبهاها تُناجيه بالغيب.

[٢] أو ترتسم صورة الأمر الغيبيّ مشاهدة.

[٣] أو ينسطر على سبيل كتابةٍ.

[٤] أو على طريق نداءِ هاتفٍ غائبٍ.

[٥] أو على غلبة ظنٍّ بالأمر الغيبيّ فيطلع.

وما بقي من الكلام محفوظاً في النوم واليقظة، فهو رؤيا صادقة، أو وحي صريح.

وما بطل هو وبقيت محاكياته فهو وحي محتاجٌ إلى تأويل، أو حُلمٌ مفتقر إلى تعبير، وتختلف بالمواضع والأشخاص والأوقاتِ والعاداتِ هذه المحاكياتُ.

وما يرى من الجنّ والغول والشياطين فهو من أسباب باطنة تخيّلية.

وليس انتقال المتخيّلة يختصّ بالنوم. بل قد تشغلك عن مهمّك ناقلةٌ، فتحتاج إلى رجوع بالقهقرى وتحليل بالعكس.

وكما إن المدرَكات تتعدّى إلى الحسّ المشترك فلا يبعد أن تنعكس منه تارة أخرى إلى الحواسّ فتنعكس الصورة من الحسّ المشترك إلى العين، وربّما تنعكس إلى الهواء الراكد في العين المبتلّ برطوبتها؛ وكذا إلى سائر الحواسّ من اللمس والذوق، فقد شاهدنا من هذه الأشياء عجائب.

وبالجملة، إذا حصل في الحواسّ استرخاءٌ لا يبعد مِثل هذه النقوش.

وكلّما انقشع عنك غيوم الطبيعة يبدو لك سرٌّ طالَما كَتَمَ عنك الحكماء.

المورد الخامس

مرصاد عرشيّ
(وفيه فصول)

[فصل ـ ١]

(٧٥) لا تُحدِّثْ نفسَك إن كنتَ امرءًا ذا حِدٍّ بأن تتّكئ على سرير الطبع راضياً برغد عيشةٍ في هذه الخِرْبة القذرة وتمدّ رجليك: «فتقول قد أحطتُ من العلوم الحقيقية بشطرها، ولِنفسي عليّ حقٌّ؛ كيف؟ وقد فزتُ بقصب السبق على أقراني»، إنّ هذه خطرة ما أفلح من دام عليها قط.

[فصل ـ ٢]

(٧٦) كلّ هذه العلوم صفيرُ سفيرٍ يستيقظك عن رقدة الغافلين، وما خُلقتَ لتنغمس في مُهلكِك، انتبهْ يا مسكين، وانزعجْ بقوة! وارفضْ اعداء الله فيك، واصعدْ إلى آل طاسين، لعلك ترى ربَّك بالمرصاد.

[فصل ـ ٢]

(٧٧) أتَسْمعُ منادي الله يُناديك وتتصامَمْ؟ قُمْ من مرقَد طبيعتك واستشْرقْ، لعلّ نفحةً من الله تتلّقاك، وإذا عزمتَ فاصبرْ، وإذا شرعتَ تممّ، وإذا طرحتَ فاصعدْ، وإذا رأيتَ فاسجدْ، فلعلّ بارئك يناجيك.

[فصل ـ ٤]

(٧٨) جلْ ببدنٍ غابت نفسه! واعتصم بكلمةٍ تُقدّسك! وقُل لقومِك: خذوا حذركم واتّقوا، فقد قرب الموعد، فإن لم تنتهوا فإنّ عذاب الله آتٍ.

[فصل ـ ٥]

(٧٩) أما والعادياتِ لفرطِ شوقٍ دارت على أرجاء الكون، ونفوسٍ قصدنَ بقوة إلى ذُرَى العرش، إنّ إنساناً لم يحارب بني جنٍّ ـ اوَوْا إلى قُلّة طَوْدٍ منعوا حقّ الله عز وجل ـ لن يعبُر عن سِكّته إلى درب الأزل ولن يصل إلى ساحل العزّة، ولعلّ موجاً هيَّجه، العاصفاتُ سراعاً ـ يختطفه، فيغرق في تيّار الغسَق، حيث لا عينٌ باصرة تطرف، ولا قرينٌ ذو ودّ يُسامر، فهنالك يلاقيه مقتُ السلاطة في هيبةٍ لا معْبَر عنها للعابرين.

[فصل ـ ٦]

(٨٠) إنّ سكينة من رحمة الله لن تلحق إلاّ نفساً فارقت اطلالَ ذوي إفكٍ عَتَوا، فأتَتْ ورَنَتْ ووقفت على رَصَدٍ فرأت طيوراً صافّاتٍ حاضرات واقفات عند كُوّة الكبرياء، فنادت بخفيّ ندائها: يا مُنجي الهلكَى ويا غياث مَن استغاث! إنّ ذاتاً هبطتْ فاغتربتْ وتذكّرتْ فاضطربتْ فسارعت فمُنعت، فهل إلى وصول مِن سبيل؟

[فصل ـ ٧]

(٨١) نادَى مُنادٍ من الملائكة حفّت من حول عرش النور أَنْ يا أيها التائهون في مهمة البَوار، إنّ أبواب السموات تُفتح في صبيحة كلّ جمعة طلعتْ شموس عن مغاربها، فَهَلمّوا إلى الباب الأكبر وحرّكوا الذكر الحكيم وقولوا: يا آخذ النواصي! بدأتَ فتمّمْ، خلقتَ فاهدِ، قضيتَ فاعفُ، ملكتَ فاغفرْ، يا واهب الحيوة حقّاً! ببابك عبدٌ من عبادك أتى من رجس الهيولى تائباً، أفيرجع من رَوحك خائباً؟ يا مَن

غواشي نوره أضاءت الذوات الذاكرات، وطوالع مَواهِبه زَينُ الأرواح السابحات، إنّ نفساً طلبتْك فلا تردّها في انقلاب الناكسين فارحمْ وانصرْ واعصمْ وأنتَ خير العاصمين.

[فصل ـ ٨]

(٨٢) إنّ الناشطات عقدَ الناكثين، والناهضات إلى أُفق علّيّين، وكلّ مجتازعلى «يمّ قَطرانٍ»، إن لم يخوضوا على طَرَبٍ مطيِّر وأُهبةٍ تامّة عادلةٍ فيلتقمهم الحوت المظلم، ولن يشربوا بعده إلاّ سموم الأساود، ولا يصيبهم نسيم مَهَبّ العاطرين ولذائذ نغمات الفارقين.

[فصل ـ ٩]

(٨٣) قام هرمس يُصلّي ليلةً عند شمس في هيكل النور، فلما انشقّ عمود الصبح فرأى أرضاً تخسِف بقُرىً غضب الله عليها فتهوِي هُويّاً، فقال: يا أبي! نجِّني عن ساحة جيران سوءٍ، فنودي أن اعتصمْ بحبل الشعاع واطلعْ إلى شَرَفات الكرسي، فطلع فإذا تحت قدمه أرضٌ وسموات.

[فصل ـ ١٠]

(٨٤) بَرَقَ بارقُ العزّة في سرّ عبدٍ قعد بمعزلٍ عن بني جنسه، غلّق على نفسه باب حواسَّ مدركاتٍ، وخواطرَ ارداتٍ، وهمومٍ مهلكاتٍ، يقهر بذكر الله ما دبَّ في ضميره من دبيب النمال التي هي مثل الخيال، وعسى ينقطع لِفقد المدد بالملال، وما خطر بباله من الاقدام على كثيرِ عددٍ من الافعال، ولا يشتغل بغير ربّه، ويحسب نفسه كأنها فارقت الاقطار والجهات والأزمان والأوقات معلّقةً مجرّدةً مفارقةً مخلّصةً زمانًا طويلاً، فإن دامت كذا فسيأتيها «برقٌ» ثم «حَرْقٌ» ثم «طمسٌ» وهي معلّقة عند ذات الذوات بالمرصد الأعلى.

[فصل ـ ١١]

(٨٥) إنّ طائفة الله تألّهتْ فتعظّمت، وتقاطعت فتواصلت، وجاوزت غِير إنّ جبلي بني الاخياف إلى جبلي شرقٍ أصغر وشرقٍ أكبر، وثَمَّ باب الأبواب، أيُّ نَسَمةٍ سَمَتْ إليه اخذتها أعين الله واتّقدت فيها شعلةٌ جذّابةٌ فشبّتها، وهنالك انمحق المستغرقون، لله كلمةٌ! هذا شأنها في المتزعزعين!

فصل ـ [١٢ ـ وصية وإشارة إلى مقام الحكيم الشهودي]

(٨٦) اعلمْ رحمك الله إنه لما انتهى كلامنا إلى ههنا، وحان وقت الاقتصار فجدير بنا حُسن توصيةٍ:

لا تضيّعْ عمرك فإنّك لن تجده بعد فواته.

اصبرْ صبر الرجال ولا تعّود نفسك بأخلاق رَبّات الحجال.

واعلم إنّ الحكماء الكبار منذ كانت الحكمة خِطابيّةً في الزمان السابق مثل والد الحكماء أب الآباء **هرمس** وقبله **أغاثاذيمون** وأيضاً مثل **فيثاغورس وأنباذاقلس** وعظيم الحكمة **أفلاطون** كانوا أعظَم قدراً واجلَّ شأناً من كلّ مبرّز في البرهانيّات نعرفه من الإسلاميّين، ولا يغُرنّك استرسال هؤلاء مع **فيثاغورس**، فإنّ هؤلاء القوم وإن فصّلوا ودقّقوا ما اطّلعوا على كثير من خفيّات سرائر الأولين سيمّا الأنبياءِ منهم، والاختلافات إنما وقعت في التفاصيل، وأكثر كلام القومِ على الرموز والتجوزاتِ فليس من الواجب الردّ عليهم، وقد اتّفق الكلّ على ما ينبغي في الآخرة من علم والواحد الحقّ، وما يليه من العقول والنفوس والمعاد للسعداء، فعليك بالرياضة والانقطاع! لعلّك تنال ممّا نالوا.

وقد حكى الإلَهيّ **أفلاطون** عن نفسه فقال ما معناه:

إنّي ربما خلوتُ بنفسي وخلعتُ بدني جانباً وصرتُ كأني مجرّد بلا بدن عريّ عن الملابس الطبيعية بريّ عن الهيولى، فأكون داخلاً في ذاتي خارجاً عن سائر الأشياء فأرى في نفسي من الحسن والبهاء والسناء والضياء والمحاسن العجيبة

الأنيقة ما أبقى متعجّباً فأعلمُ أنّي جزءُ من أجزاء العالم الأعلى الشريف، في كلام طويل.

وحكى المعلّم الأوّل عن نفسه هذه الأنوار العظيمة.

وقد اتّفق كلّهم على إن مَن قدر على خلع جسده ورفضِ حواسّه صعد إلى العالم الأعلى.

واتّفقوا على إن هرمس صعد بنفسه إلى العالم الأعلى وغيره من أصحاب المعارج.

ولا يكون الإنسان من الحكماء ما لم يحصل له ملكةُ خلع البدن والترقّي، فلا يلتفت إلى هؤلاء المتشبّهة بالفلاسفة المخبّطين المادّيّين، فإنّ الأمر أعظم مما قالوا.

وطرائق هؤلاء، منها خفيّةٌ لشرفها وعظمتها، ومنها ظاهرةٌ.

فصل ـ [١٣ ـ الصوفية من الإسلاميين هم أهل الحكمة]

(٨٧) الصوفية والمجرّدون من الإسلاميّن سلكوا طرائق أهل الحكمة، ووصلوا إلى ينبوع النور، وكان لهم ما كان، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[1].

فصل ـ [١٤ ـ إشارة إلى بعض طرائق الصوفية ومقاماتهم]

(٨٨) وكانوا قد يشغلون المريدين بالذكر الدائم وتركِ الاحساس والحركات والقعودِ في الزاوية وقطعِ كلّ خاطرٍ يجرّ إلى هذا العالَم، وهكذا إلى أن تحصل لهم الأمور.

ومن الطرائق:

[١] العبادةُ الدائمة مع قراءة الوحي الإلهي.

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٠.

[٢] والمواظبة على الصلوات في جُنح الليل والناس نُيّامٌ.

[٣] والصومُ وأحسنه ما يؤخّر فيه الافطار إلى السحر لتقع العبادة في الليل على الجوع.

[٤] وقراءة آيات في الليل مهيِّجةٌ لرقّةٍ وشوقٍ.

وينفعهم:

[١] الأفكار اللطيفة.

[٢] والتخيّلات المناسبة للأمر القدسيّ ليتلطّف سرّهم وهذا له مدخل عظيم.

[٣] وكذا الغلبة اللطيفة.

[٤] والنغمة الرخيمة.

[٥] والوعظ عن قائلٍ زكيّ.

فأوّل ما يبتدئ عليهم أنوارٌ خاطفة لذيذة سمَّوها «الطوالع» و«اللوائح»، وهي كلمعةِ بارقٍ سريعة الانطواء، ثمّ يُمعنون في الرياضة إلى أن يكثر عليهم ورودها لملكةٍ متمكّنةٍ، وقد يخرج عن اختيارهم هجومها، ثمّ بعد ذلك يثبت الخاطف، وعند ثباته تسمَّى «السكينة»، وعند التوغّل في الرياضة تصير ملكةً، ثمّ بعد ذلك يحصل لهم قوّة عروجٍ إلى الجناب الأعلى.

وما دام النفس مبتهجةً باللذّات من حيث هي اللذّات فهي بعدُ غيرُ واصلةٍ، وإذا غابت عن شعورها بذاتها وشعورها بلذّاتها، فذلك الذي سمَّوه «الفناء»، وإذا فنيت عن الشعور فهي باقية ببقاء الحقّ تعالى، وقد سبقت اشارةٌ إلى الاتّحاد.

وثَمّ مقام آخر في الفناء وهو «الفناء في الخلسة» وهو أقرب الحالات إلى الموت، وربّما سمّاه بعض الصوفية «مقام الخُلّة» وأشار إليه افلاطون، وهذا غير الفناء الذي قد يجتمع مع التحريك البدنيّ المشهور.

فصل ـ [١٥ ـ في إثبات تجرد النفس]

(٨٩) قال صاحب التوحيد في مقام التجريد: ما انطقَ برهانكم يا أهل الحكمة

وأوضح بيانكم! لقد كشفتُم الغطاء عمّا صار القلوب فيه صرعى، وأتيتم على جميع ما يُحتاج إلى معرفته في حال البدؤ والرجعَى، فسقيًا لنفوسٍ هذه آثارها وعقولٍ من الحقّ شعارُها ودثارُها وإلى الله مسيرها ومطارُها، لقد أظهرتم بأبين الحجّة أعظمَ المحجّة وساعدتكم نفوس جميع أهل الحقيقة، إلاّ أنّ هاهنا حرفاً واحداً وهو أنّي تجرّدتُ بذاتي ونظرتُ فيها فوجدتُها أنّيّةً ووجوداً، وضُمَّ إليها أنّها «لا في موضوعٍ» ـ الذي هو كرسمٍ للجوهرية ـ وإضافاتٌ إلى الجرم ـ التي هي رسم للنفسية ـ أمّا الإضافات فصادفتُها خارجةً عنها وأمّا إنّها «لا في موضوعٍ» أمرٌ سلبيٌّ، و«الجوهرية» إن كان لها معنى آخر لستُ أحصّلُها وأحصّلُ ذاتي وأنا غير غائب عنها، وليس لها فصل، فإنّي اعرفها بنفس عدم غيبتي عنها، ولو كان لها فصل أو خصوصية وراء الوجود لأدركتُها حينَ أدركتها، إذ لا أقرب منّي إليّ، ولستُ أرى في ذاتي عند التفصيل إلاّ وجوداً وإدراكاً فحسبُ، امتاز عن غيره بعوارض و«الإدراكِ» على ما سبق فلم يبق إلاّ «الوجود»، ثمّ «الإدراك» إن أُخذ له مفهومٌ محصَّلٌ غير ما قيل فهو إدراك لشيءٍ وهي لا تتقوّم بإدراك نفسها ـ إذ هو بعد نفسها ـ، ولا بإدراك غيرها ـ إذ لا يلازمها والاستعداد للإدراك عرضيّ ـ، وكلّ من ادرك ذاتَه على مفهوم «أنا» وما وُجد عند التفصيل والنظر إلاّ وجودٌ مُدرِكٌ نفسَه فهو هو، ومفهوم أنا من حيث مفهوم أنا على ما يعمّ الواجب وغيرَه إنّه شيء أدرك ذاتَه، فلو كان لي حقيقة غير هذا فكان مفهوم «أنا» عرضيّاً، لها فأكون أنا أُدركُ العرضيَّ لعدم غيبتي عنه وغبتُ عن ذاتي، وهو محال، فحكمتُ بأنّ ماهيّتي نفس «الوجود» وليس لماهيّتي في العقل تفصيل إلى أمرين إلاّ أمورٍ سلبيّة ـ جُعل لها اسماء وجودية ـ وإضافاتٍ.

سؤال: لك فصل مجهول؟

جواب: إذا أدركتُ مفهوم «أنا» فما زاد عليه من المجهول فهو بالنسبة إليّ «هو» فيكون خارجاً عنيّ.

قيل لي: فإذن ينبغي أن يجب وجودك وليس كذا.

قلتُ: الوجود الواجبيّ هو الوجود المحض الذي لا أتمّ منه، ووجودي ناقص، وهو منه كالنور الشعاعيّ من النور الشمسيّ، ولمّا وُجد التفاوت والكمال والنقص كما أشرتم إليه في البُعدين السابقين لا يحتاج إلى ممّيزٍ فصليّ، وامكان هذه نقص وجودها ووجوبُه كمال وجودِه الذي لا اكمل منه.

قيل: لا أشدّ ولا أضعف فيما يقوم بنفسه.

قلتُ: هذا تحكّم قد انحسم بابُه فيما اسلفتُم من القواعد.

سؤال: إن كان الوجود من حيث هو كذا واجباً فكان الكلّ كذا؟

جواب: اندفع بالتامّ والناقصِ هذا الكلام، وإنّما يقع هذا موقعه في المتواطئة، ثمّ إنّ هذا يلزمكم أيضاً في الوجود الواجبيّ والممكنِ إذ من حيث مفهومه لم يختلف.

وإذا كان ذاتي على هذه البساطة فالعقول أوْلى.

وأَمّا عدم الأوْلَوية في ايجاد بعض نوع لبعضه فإنّما يستقرّ عند استواء رتبة الوجود والمساواة في الكمال والنقص، وإلاّ عند التفاوت ـ كما في النور التامّ والناقص ـ لا يصحّ.

وأَمّا ما قيل: إنّ اختلاف آثار العقول لاختلاف أنواعها، فمدفوعٌ، لأنّه لمّا جاز أن يصدر عن ذات واحدة باعتباراتٍ أشياءُ جاز عن نوعٍ واحدٍ باعتباراتِ مراتبِ الوجود وعوارض أخرى، فإنّ العقل الثاني له رتبة من الوجود وكمالٌ غير ما للثالث، كيف والثالثيّة والرابعيّة نفسها مراتب للوجود ولوازم مختلفة يجوز أن تختلف الآثار والحركات باعتبارها للافلاك، وإلى هذا أشار المتقدّمون إلى أنّ الاعداد هي مبادئ الوجود.

ثمّ إنّ «العدد» على اختلاف مراتبه حصل من الآحاد ولا واحدَ متشابهٌ وللمراتب خواصّ عجيبة، وكلّ العجب في نسب أعداد ومراتبَ، فكذا رتبة اعداد العقول ونسبُها، وباعتبار ذلك اثرها، وبمراتبه اظلالٌ ومُثُلٌ في الاجرام.

وتعلم أنّ الافلاك تؤثر لمقابلاتٍ ومناسباتٍ فهي متشابّهة في هذه أيضاً بما بين

العقول من النسبة العقلية وكما إن الصُوّر الفلكيّة «كالعقرب» و«الجبّار» مثلاً إنّما هي كواكبُ كلٌّ منها جسمٌ نوريّ مستقلّ في ذاته إلاّ أنّها لِما بينها من النسبة الوضعية صارت صور الأنواع، فالعقول أيضاً يجوز أن تكون بينها مناسباتٌ عقلية صارت المناسبةُ الوضعية للكواكب وغيرها من الأنواع ظلالُها.

وهذا من التوحيد وأشار إليه المتقدّمون، وفي كلام **المعلّم** ما معناه هذا، وما يخالفه فإنما هو من تصرّفات المتأخّرين والمعوّل على البرهان.

فصل ـ [١٦ ـ في تعريف بعض المصطلحات وفي وصايا ونصائح]

(٩٠) و«المقام» عندهم هو الملكة الثابتة على أمرٍ من هذه الأمور و«الحال» عندهم هو أن يكون شيء مّا بالفعل من جزئيّات هذه الأشياء، سريع الزوال وهو بعينه من الحال المذكور في باب الكيف ولهذا قيل: ألف حالٍ لا يحصل منها مقامٌ واحد.

والاعتماد على المقامات والملكات لا على الأحوال.

فظُنَّ ـ وفّقك الله ـ بالعلماء خيراً.

وكُنْ كثيرَ الدعاء في أمر آخرتك، فإنّ الدعاء نسبته إلى استجلاب المطالب كنسبة الفكر إلى استدعاء المطلوب العلميّ، فكلٌّ مُعِدٌّ لِما يناسبه، والدعاء كما قال **افلاطون** يُحرِّك الذكر الحكيم.

واصبرْ وتوكّلْ واشكرْ.

وارْضَ بالقضاء.

وحاسبْ نفسك في كلّ صبيحةٍ وعشيّة وليكنْ يومُك خيراً من أمسِك ولو بقليلٍ وإلاّ فأنتَ من الخاسرين.

روّحْ سرّك بترك ما ثقلتْ عليك تبعاته.

اذكرْ موتك وقدومك على الله في كلّ يومٍ مراراً.

احفظِ الناموس ليحفظك.

ولا تؤخّرْ إلى غدٍ شُغلَ يومك، فإنّ كلّ يوم آتٍ بمشاغله ولعّلك لن تلحقه.

واقطعْ بحسب طاقتك محبّة ما سوى ربّك.

وكلّ خاطر رَدِيٍّ يجرّك إلى الجنبة السافلة، فاقطعْهُ أوّلاً، لئلاّ يقوى فيقطعك.

وحصّلْ لنفسك الملكات الفاضلة التامّة.

وعليك بالصدق فلا تلطّخنّ نفسك بملكة الكذب فينفسدَ مناماتك وإِلهاماتك وتعتاد بالانتقاش بغير الحقّ.

ولا تظلمنّ أحدًا فينتقمَ عنك قَيِّمُ العالَم.

ولا تؤذينّ نملةً فإنّ عناية القيّم كما نالتك برحمته نالتْها.

فكّرْ مراراً ثمّ قُلْ، فإن كنتَ بنطقك صابراً من «الصالحين» فيوشك أن تصير بالصمت ملكاً من «المقرّبين».

احفظْ جانب الله في كلّ أمر وليكُنْ لك مع الله معاملةٌ لا يطّلع عليها بنو نوعِك.

واعلمْ إنّ عيونا من الملكوت ناظرة إليك، فعظِّم حُرمَات الله استحياءً فإنّ أعيُنَ ربّك لا تنام.

احترزْ عن «اليمين» وإن كنتَ صادقاً.

كنْ برّاً بوالدَيك.

إذا حقّت كلمة العذاب على قومٍ ففسقوا، والقيِّمُ عليهم غضبانُ، ولم يبق إلى حدّ استنزال عذاب الله إلاّ قليلاً، فلا تكوننَّ بصغيرتك متمِّمَ الكبائر فحينئذ يمسّك من الخِذْلان ما مسَّ القرون الخالية.

كُنْ ذا عزيمةٍ فإنّ عزائم الرجال تُحرّك الأسباب.

اتّقِ دعوة العجائز واليتامى، فإنّ القيّم قد لا يسامح بكسرٍ على كسيرٍ.

صَلِّ لربّك والليل داجٍ.

وأذكر الله كثيراً.

وكلُّ ما حرّكك إلى أمرٍ من الأمور العالية إن تتبّعتَه وفتّشتَ كتابي هذا وجدتَ فيه ما يُعِينك على الوصول إلى كماله.

ولقد اودعتُ في هذا الكتاب ما لا حاجة معه إلى غيره في هذا الفنّ، وفرّقتُ ما ينبغي أن يُفرّقَ في مواضعه وماليس ههنا برهانُه أو جزمُ الحكم به لا يضرُّك جهلُه، واشتملَ على رموز إن فهمتَها وغرائب ونوادر، ومن العلم على قواعد منقّحةٍ ليس فيها هرجٌ ومرجٌ، ولو حمدتُ الدعاوى لادّعيتُ فيه أمورًا جليلة، وإن نبّهتُك على قدرةٍ تُخِلُّ بأمرٍ أعرفُه ولا تقلّدْني وغيري فالمعيار هو البرهان.

وكفاك من «العلم التعليميّ» طرفاً فعليك بالعلم التجرّديّ الاتّصاليّ الشهوديّ لتصيرَ من الحكماء.

ولا تبذلنَّ العلم وأسرارَه إلاّ لأهلِه.

واتّقِ شرّ مَن أحسنت إليه من اللئام،

فلقد أصابتْني منهم شدائد.

واذكرني في صالح دعائك.

وفّقنا الله وإيّاك ورحمنا وآوانا إنه سيّدنا ومولانا ولِواهبِ العقل حمد غير متناهٍ.

تمّ كتاب التلويحات اللوحيّة والعرشيّة